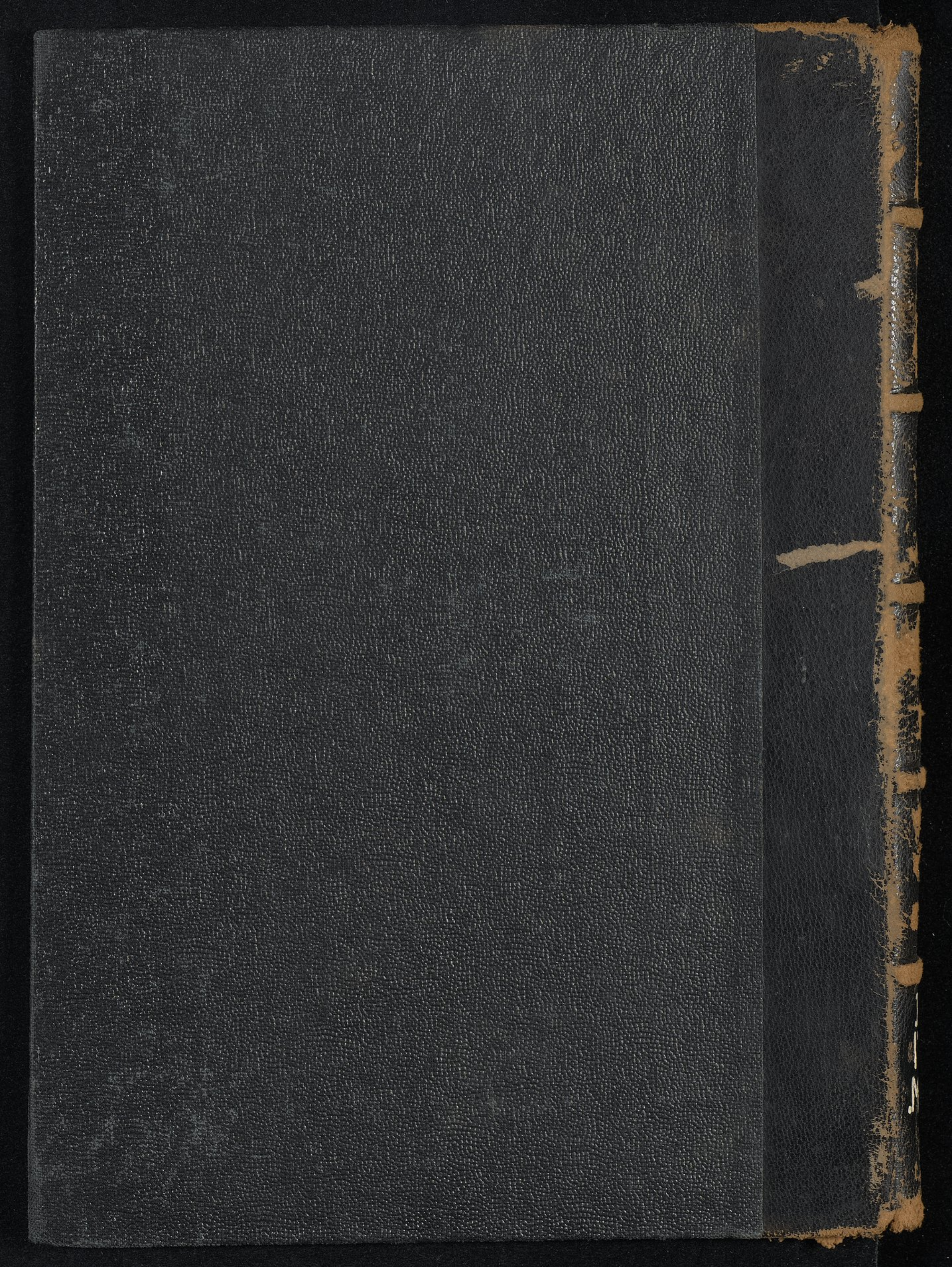
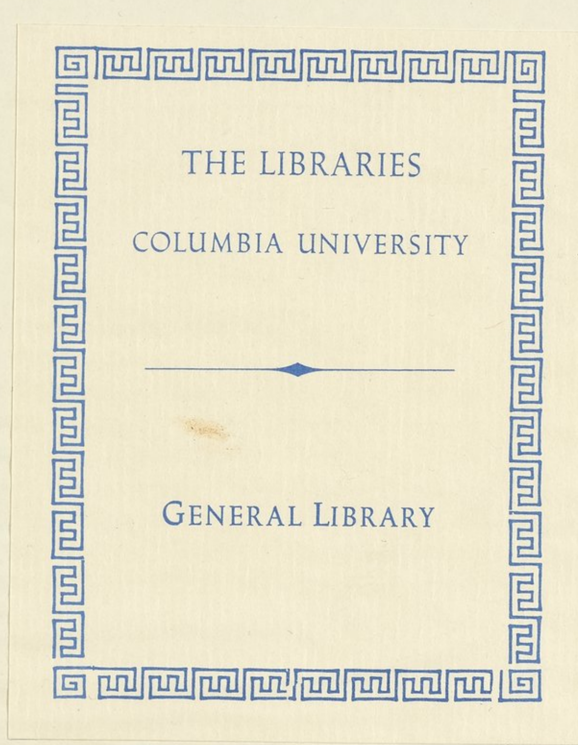
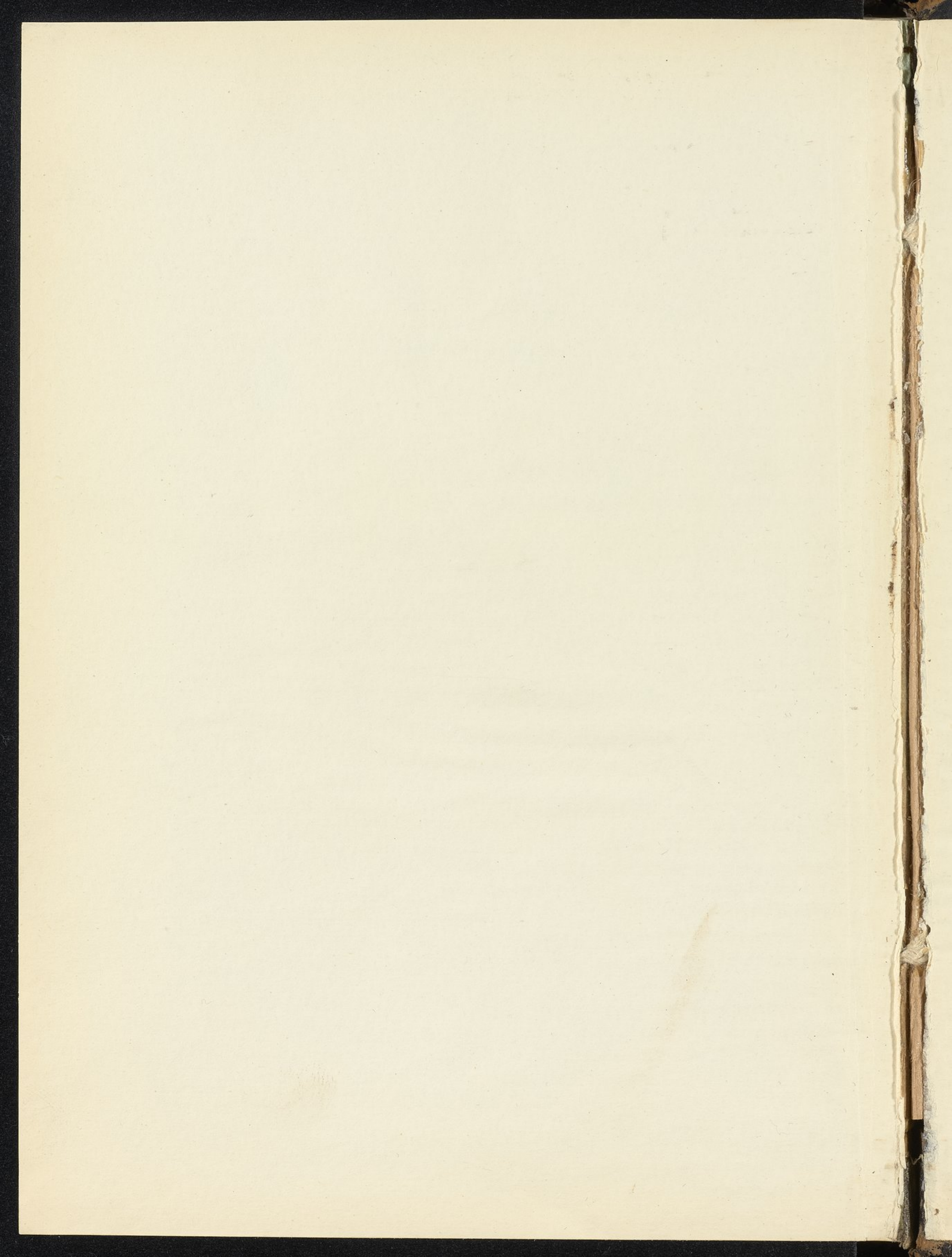
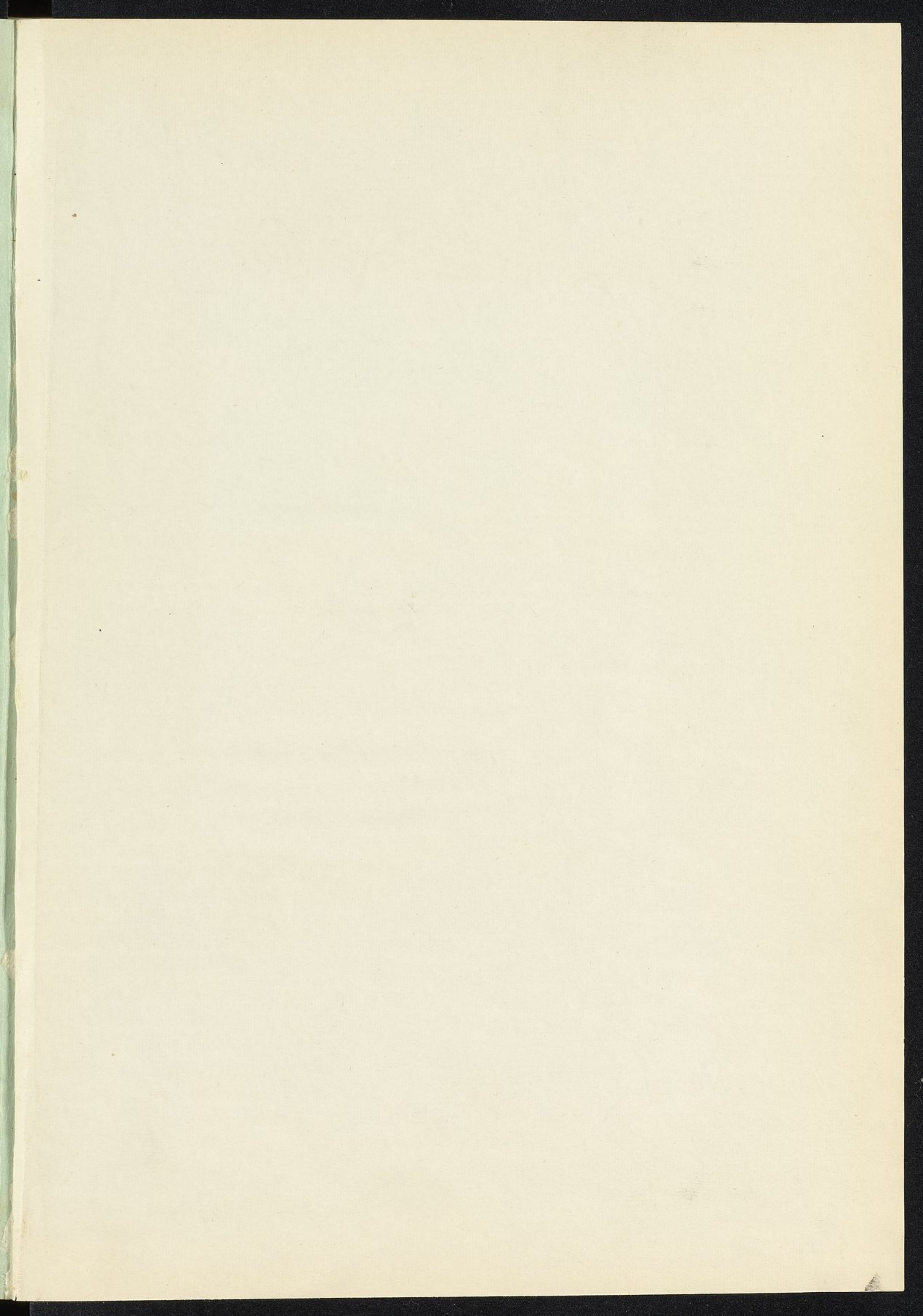



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY





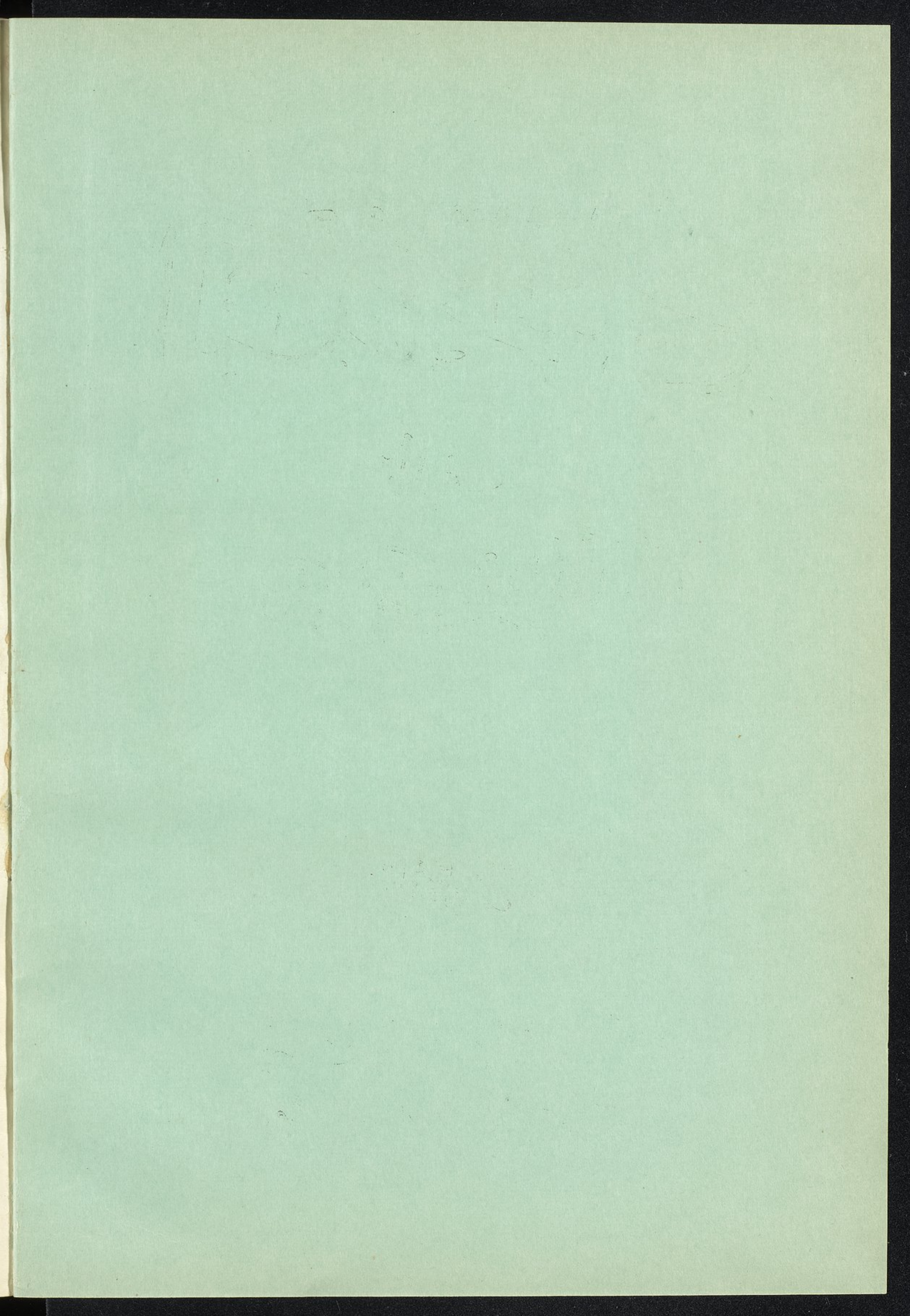
البدء والتاريخ

تأليف

مطهر بن طاهر المقدسي

الجزء الأول

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد
ومؤسسة الخانجي بمصر



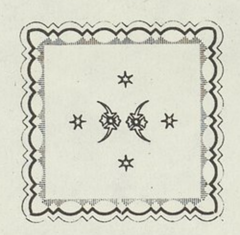
كِتَابُ

ٱلْبَدْءِ وَٱلتَّأْرِيخِ

لأبي زيد احمد بن سهل البلخى

قد اعتنى بنشره وترجمته من العربيّة الى الفرنسويّة
الفقير المذنب كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسويّة
وكاتب السرّ ومترجم الحكومة المشار اليها ومعلّم فى مدرسة
الألسنة الشرقيّة فى باريز

الجزء الأوّل

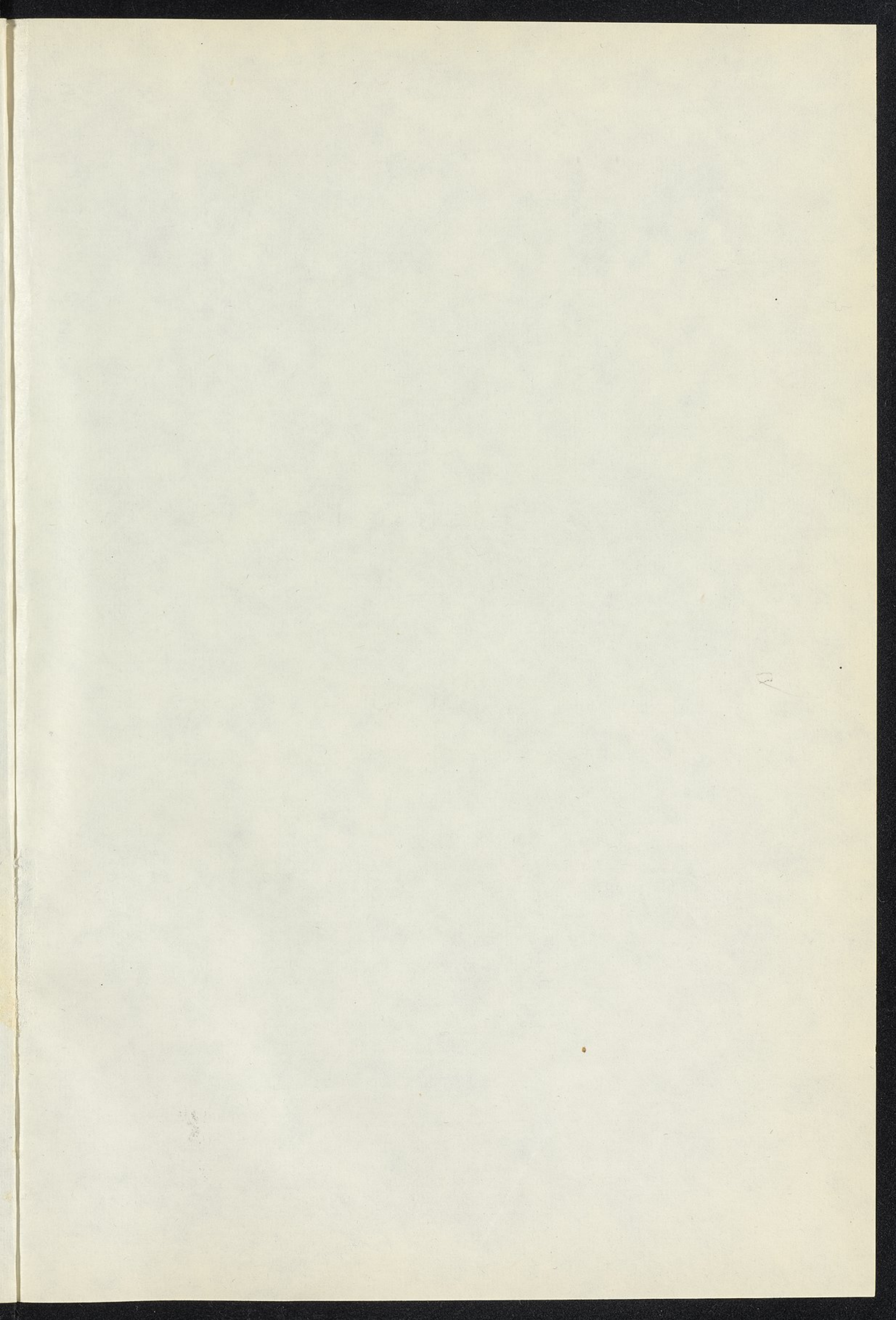


يُباع عند الخواجه أرْنَسْت لَرُو الصحّاف
فى مدينة باريز

١٨٩٩
سنة ميلادية

كِتَابُ
اَلْبَدْءِ وَاَلتَّأْرِيخِ

اَلْجُزْءُ اَلْأَوَّلُ



كِتَابُ ٱلْبَدْءِ وَٱلتَّأْرِيخ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الحول والقوّة

[F° 1 v°] تسلّقَ الزائغون عن المحجّة فى التلبيس على الضعفآء وتعلّق المنحرفون عن نهج الحقّ فى افساد عقيدة الاغبيآء من طريق مبادى الخلق ومبانيه وما اليه معادُه ومآله تعلقًا به ينبّهون غِرّة الغافل ويُحيرون فطنة العاقل وذلك من انكى مكايدهم للدين واثخن لبلوغهم فى انتقاض الموحّدين وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ[1] ويُعلى كلمته ويفلج حجّته وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ[1] وانّ من عظيم الآفة على عوامّ الأُمّة تصدّيهم لمناظرة مَنْ ناظرهم بما تخيّل فى اوهامهم وانتصب فى نفوسهم من غير ارتياض بطرق العلم ولا معرفة باوضاع

[1] *Qor.*, sour. IX, v. 32.

القول ولا تحكُّك بادب الجدل ولا بصيرة بحقائق الكلام ثم القاؤهم بايديهم عند اوّل صاكّة تصكّ أفهامهم وقارعة تقرع أسماعهم ضَرِعين خاشعين مُسْتَجْدين مُستقلّين الى ما لاح لهم بلا اجالة رويّة ولا تتعير(؟) عن خبيئة وعلى اهل الطَرَف والشَرَف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر المستفيض والإيجاب بغوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة وان كانت ناحلة المعانى نحيفة المغانى ضعيفة الضمائر واهية القواعد فقُصارَى نظرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان التى هى وثاق الله تعالى فى سياسة خلقه وملاك امره ونظام الألفة بين عباده وقوام معاشهم والمنبّه على معادهم الرادع لهم عن التباغى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل ومحمود ثواب الآجل فتعرّض الى ما هو منهىّ عنه فى حكمة العقل التعرض له من الاستهداف بقدح القادح واستدعاء مقت الماقت والسعى فى افساد ذات البين والاستشراف للفتنة وتلبيس الحق على الضَعَفة واكثر ما يَعترى هذه البليّة طبقة اهل اللسان والبيان يظنون ظنوناً كاذبةً ويسمّون بهمم قاصرة

الى حيث يحجم همه البارز النقّاب عن التطلّع الى أدناه ويحق ما
ذكره العُتبى فى كتابه وان كان دخيلا فى صناعته متكلّفاً ما
ليس من بزّته حيث قال فى صفة هذه الطبقة قد رضى
من الله ومن عباده عوضًا ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف
يذهب إلى انّ لطف النظر قد اخرجه عن جملة الناس وبلغ
به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغُثاء والغُثْر وهو
لعمر اللّه بهذه الصفات أَولى وهى به أليق فى اخوات لهذه
كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة يكظم احدهم
واسبل الحقّ جناحه عليه بقى مبهوتًا منقطعًا قد خانته معرفته
وكذّبته أُمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضُحْكَةً
للناظرين ومثلًا سائرًا فى السامعين بعد أن كان يظنّ ضحكة
لفضل علم او بيان وكفى ذُلًّا وحُزنًا ودناءةً ونقصًا لراضٍ بهذه
المنزلة ومعترّ بتفريط السفلة مقبلا على لحمه وعظمه مضيّعًا
أيّام أَدَبه وعِلْمه ومن كانت هذه حاله فحقّ له النَكال
والنكير فى العاجل مع ما يبوء به من ناهض الاثم وعظيم
الإصر فى الآجل ومن اعظم ذلك على ارباب القلانس
وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشحون له
[fo 2 ro] بلاد واعية مقدّماته مستحلبين أفْئدة العامّة بإطرآء
مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب
التّى رووْها مستأكلة القُصّاص عن أُحدوثةٍ فى العقل
مردودة واعجوبة عن الفهم محجوبة حتى شحنوا صدورهم
بتُرَّهات الأباطيل وضيّعوا نفوسهم بالأسمار والأساطير فَهُمْ الى
كلّ ناعقٍ سِراع وعن كلّ ذى حقٍّ بطآء وللمتّبع متعرضون
وعن الواجب مُعرضون المحق فيهم مبطل والمُدقّ مُلحد والمخالف
لهم مقهور والناظر مهجور والحديث لهم عن جملٍ طارَ اشهى
اليهم من الحديث عن جمل سارَ ورؤيا مَرِيّة آثر عندهم من
رواية مرويّة فهذه الخُطّة كانت سبب حرمان العلم
وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخِذْلان والتوسيع للطاعن
فى اللين وتسهيل القادحين بالصَخب والشَغْب والشُنعة وردّ
العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كَنَفه او يخفض
جناحه او يُسفر عن وجهٍ إلّا لمتجرّد له بكلّيته ومتوفّر عليه
بأنيته[1] مُعانٍ بالقريحة الثاقبة[2] والرويّة الصافية مقترنًا

[1] Ms. بأنيته. [2] Ms. الباقبه.

بـه التأييد والتسديد قد شمّر ذيله واسهر ليله حليف النصب
ضجيع التعب يـأخذ مـأخذه متـدرّجًا ويتلقّـاه متطرّفًـا لا
يظلم العلم بالتعسّف والاقتحام ولايخبط فيـه خبط العشواء فى
الظلام ومع هجران عادة الشرّ والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبـة
الإلف ونبذ المحاكلـة واللجاجة واجالـة الراعى عن غموض
الحقّ والتّأتّى[1] بلطيف المأتى وتوفيقه النظر حقّه من التمييز بين
المشتبه والمتّضح والتفريق بين التمويـه والتحقيق والوقوف عند
مبلـغ العقول فعنـد ذلـك إصابـةُ[2] المُراد ومصادفـةُ المرتاد
وباللّـه التوفيق والرشاد ، ولمّا نظر فلان اطال الله فى طاعته
بَقَاه وبلغ من العلوم مُناه الى احوال هذه الطبقـة ومـا قـد
يقسمهم من الهمم وتـوزّعهم من انواع النحـل وتَصفّح مذاهبَهم
اشتاقت[3] نفسه الى تحصيل الأصحّ من مقالاتهم وتمييز الأصوب
من اشاداتهم فـأمرنى لازال أمرُه عاليًا وجدّه صاعـدًا أنْ أجمع
لـه كتابًا فى هذا الباب منحطًّا عن درجة العلو خارجًا عن حدّ
التقصير مهذبًا من شوائب التزيُّـد مُصَفًّى عن سِقاط الغسالات[4]

[1] Ms. التـالى.
[2] Ms. أصابـه.
[3] Ms. واشتاقت.
[4] Ms. العسالات.

وخرافات العجائز وتزاوير القُصّاص وموضوعات المتّهمين من المحدّثين رغبةً منه فى الحبر الذى طبعه الله عليه وامتعاظًا للحق ومناضلةً[1] عن الدين واحتياطًا له وذبًّا عن بيضة الاسلام وردًا لكيد مُناويه وارغامًا لانف فاشحيه وتحرّزًا عن أن يُصيب الحَنَق الموتور يلدغ ناره او يجلد الطاعن مطعنًا فتسارعتُ الى امتثال ما مثّل وارتسام ما رسم وتتبّعت صحاح الأسانيد ومتضمّنات التصانيف وجمعتُ ما وجدتُ فى ذكر مبتداء الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبيآء عليهم السلم وأخبار الأُمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب والعجم وما رُوى من امر الخلفاء من لدُن قيام الساعة الى زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة وخمس وخمسين من هجرة نبيّنا محمد صلعم وما حُكى أنه واقع بعدُ من الكوائن والفتن والعجائب بين يدى الساعة على نحو ما بُيّن وفُصّل فى الكتب المتقدّمة [f° 2 v°] والاخبار المورّخة من الخلق والخلائق واديان اصناف الأُمم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

[1] Ms. مناصلة.

[2] Ms. فاشحيه.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى فى الاسلام من المغازى والفتوح وغير ذلك ممّا يمرّ بك فى تفصيل الفصول وانّما نبهنا على ما أردنا قول الحكمآء اوّل العمل آخر التفكر وذاك انّا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدًّا من تصحيح الحِجاج فى ايجاب ابتدآئه ولم يصحّ لنا تثبيت[1] ذلك الّا باثبات مُبديه سابقًا بخلقه ولا امكن اثباته الّا بعد بيان طرق التوصّل اليه فابتدانا بذكر ذَرْو من حدود النظر والجدل ثم ايجاب اثبات القديم المُبدئ المعيد ثمّ ابتداء الخلق ثمّ ما يتلو ذلك فصلًا فصلًا وبابًا بابًا حتّى اتينا على آخر ما كان الغرض والمقصود به ، ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من العلمآء والعظمآء والملوك فى قديم الزمان وحديثه يرغبون فى تخليد ذكرهم ويتنافسون فى ابقآء رسمهم ويحرصون ان يورثوا من بعدهم ما يؤثر عنهم من منقبة حميدة وحكمة بليغة ترغّبًا فى اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر توخّيًا منهم لعموم نفع الخير وتحرّيا لشمول الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانيّة وغاية ما يؤمّله العقل وتطمح اليه النفس حتّى أن فيهم من

[1] Ms. تثبت.

اقتحم الممالك آنِفًا لذكر شجاعته ومنهم من خرق بضنون النفائس ومنهم من تكلّف لطائف النوادر بالأَثارة[1] والاستنباط ومنهم من رفع منارًا او بنى بناءً او انبط ماءًا كلٌّ يجرى على قدر الهمم والارادات لم يوجد واحد منهم خاليًا عن خصلة من الخصال وان عميت الا بناء دونها فهذا الذى دعا فلانًا ادام الله تمكينه الى الاقتداء بهم والارتياح الى الاخذ بأخذهم والتأسى باسوتهم لما خصّه الله به من كريم الطبع وشرف الهمّة وبُعد الغور وبغية الصلاح وحُبّ الخير ثم ما يرجوه من حسن الثواب وكريم المآب بما عسى الله ان يبصّر به مستبصرًا او يُرشد مسترشدًا ويهدى ضالًّا ويردُّ غاويًا وقد وَسَمتُ هذا الكتاب بكتاب البدء والتاريخ وهو مشتمل على اثنين وعشرين فصلًا يجمع كلّ فصل ابوابًا واذكارًا من جنس ما يدلّ عليه ،

الفصل الاوّل فى تثبيت النظر وتهذيب الجدل ، وهو يجمع القول فى معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها واقسامها والقول فى العقل والمعقول والقول فى الحسّ والمحسوس

[1] Ms. بالاثاره.

والقول فى درجات المعلومات والقول فى الحد والدليل والعلّة والمعارضة والقيـاس والنظر والاجتهاد والقول فى الفرق بين الدليل والعلّة والقول فى الحدود والقول فى الاضداد والقول فى حدث الاعراض والقول على أهل العنود[1] ومبطلى النظر والقـول فى مراتب النظر وحدوده والقـول فى علامـات الانقطـاع

[f° 3 r°] الفصل الثانى فى اثبات البـارى وتوحيد الصانـع ، وهو يجمع الدلائل البرهانيّـة والحجج الاضطراريّـة والقول فى جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بـأن البارى واحد وفرد لا غير والقول بابطال التشبيه ،

الفصل الثالث فى صفات البارى واسمائـه ، وهو يجمع القول فى الصفات والقول فى الأسامى وما يجوز أن يُوصَف بـه وما لا يجوز واختلاف الناس فيه ،

الفصل الرابع فى تثبيت الرسالـة وايجاب النبوّة ، وهو يجمع اختلاف الناس فيه وايجابـه بحجّة العقل والقول فى كيفيّـة الوحى والرسالـة على ما جاء فى الأخبار ،

[1] Ms. المعهود.

الفصل الخامس فى ذكر ابتدآء الخلق ، وهو يجمع ايجاب حدث الخلق وايجاب ابتدائه بالدلائل والحجج وقول القدماء فى ايجاب الخلق وابتدآئه وذكر حكايات أهل الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرّانية والمجوس وذكر مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام فى المبادى وذكر ترجيح أَصْوَب المذاهب وذكر ما خُلق فى العالم العُلوّى من الروحانيّات وأوّل ما خُلق فى العالم السُفْلى من الجسمانيّات وسؤال السائل ممَّ خُلق الخَلْق وفيمَ خُلق وكيف خُلق ومتى خُلق ولِمَ خُلق ،

الفصل السادس فى ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسىّ وحملة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها والقول فى الملائكة أمكلَّفون هُمْ أَمْ مجبورون وانهم افضل من صالح وذكر ما جآء فى الحُجب وما جآء فى سدرة المنتهى وذكر الجنّة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس فى الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف الناس فى بقآء الجنّة [والنار] وفنائهما وذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[f' 3 v°] والاعراف وغيرها ،

الفصل السابع فى خلق السمآء والأرض ، وهو يجمع صفة
السموات وصفة الفلك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما فى
الأفلاك والسموات كما جاء فى الخبر وصفة الكواكب والنجوم
وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينهما واختلاف
الناس فى اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر
وغروبهما وكسوفهما وانقضاض الكواكب وغير ذلك ممّا يعرض
فى السمآء وذكر الرياح والسحاب والأنداء والرعد والبرق
وغير ذلك ممّا يحدث فى الجوّ وذكر مقالة الشمس
والقمر والكواكب والشُهبان وقروس قزح والزوبعة والزلازل
وذكر الليل والنهار وذكر الارض وما فيها واختلافهم فى البحار
والمياه والانهار والمدّ والجزر والجبال واختلافهم فيما تحت الارض

وذكر قوله تعالى ٱللهُ ٱلذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ والأرض وما
بينهما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ[1] وذكر ما حكى فى المّدة قبل خلق الخلق
وذكر مّدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجنّ
والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم ،

[1] *Qor.*, *passim*

الفصل الثامن فى ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف الفلاسفة فى تأليف الحيوانات واختلاف المنجّمين وسائر الناس فى ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خُلق آدم وذكر قولهم كيف نفخ الروح فى آدم وذكر سجود الملائكة لآدم وذكر قوله عزّ وجلّ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ[1] وذكر دخول آدم الجنّة وخروجه منها وذكر أخذ الذرّية من ظهر آدم وذكر اختلاف الناس فى آدم وقصّته وذكر صورة آدم وخبر وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها وفى الحواسّ من القدمآء وأهل الكتاب وما جاء فى القرآن من ذكرها وفى الاخبار ومناظرات الناس فيها،

٥ الفصل التاسع فى ذكر الفتن والكوائن الى قيام الساعة وما ذُكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فنآء العالم وانتهآئه وذكر قول مَنْ قال من القدمآء بفنآء العالم وذكر قول اهل الكتاب فى هذا الباب وذكر ما جآء فى مُدّة الدنيا وكم مضى منها وكم بقى منها وذكر التأريخ من لدن آدم الى يومنا هذا على ما وجدناه فى كتب اهل الاخبار وذكر ما بقى

[1] *Qor.*, sour. II, v. 29.

من العالم وكم مدّة [أمّة] محمّد صلعم [فيـ]ـما رواه أهل الأخبار وذكر ما جآء فى أشراط الساعة وعلاماتها وذكر الفتن [f° 4 r°] والكوائن الى آخر الزمان وخروج التُرك والهدّة فى رمضان والهاشمى الذى يخرج من خراسان مع الرايات السود وخروج السُفيانىّ وخروج القحطانى وخروج المهدى وفتح قسطنطينيّة وخروج الدجّال ونزول عيسى بن مريم عليه السلم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابّة الأرض وذكر الدخان وخروج ياجوج وماجوج وخروج الحبشة وذكر فقدان الكعبة وذكر الريح التى تقبض أرواح أهل الإيمان وذكر ارتفاع القرآن وذكر النار التى تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وذكر نفخات الصور الثلاث وذكر صفة الصور واختلاف اهل الكتاب فى صفة مَلَك الموت وذكر ما بين النفختين وذكر اختلافهم فى قوله تعالى إِلَّا مَا شَاءَ ٱللّٰهُ[1] وذكر المطرة التى تُنبت أجساد الموتى وذكر الحشر وذكر اختلاف الناس فى كيفيّة الحشر وذكر الموقف وذكر تبديل الأرض وذكر طىّ السمآء وذكر يوم

[1] *Qor.*, sour. VI, v. 128.

القيامة وذكر ما قيل ممّا هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكى عن القدمآء فى خراب العالم وذكر ما يجب على المرء اعتقاده فى هذا الباب

الفصل العاشر فى ذكر الانبيآء والرسل عليهم السلم ومدّة اعمارهم وقصص أممهم واخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار،

الفصل الحادى عشر فى ذكر ملوك العجم وما كان من مشهور ايّامهم الى مبعث نبيّنا محمّد صلعم،

الفصل الثانى عشر فى ذكر أديان اهل الارض ونحلهم ومذاهبهم وارآئهم من اهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر[1] المُعطّلة وذكر أصناف الهند وشرائعهم ومللهم واهوائهم وذكر أهل الصين وذكر ما حكى من شرائع الترك وذكر شرائع الحرانيّين وذكر اديان الثنويّة وذكر عبدة الاوثان وذكر مذاهب المجوس وذكر مذاهب الخرميّة وذكر شرائع اهل الجاهليّة وذكر شرائع اليهود والنصارى،

الفصل الثالث عشر فى ذكر أقسام الارض ومبلغ أقاليمها، وهو يجمع ذكر الأقاليم السبعة وذكر المعْروف من البحار

[1] Le ms. intercale ici البير (?)

والأودية والأنهار وذكر الممالك المعروفة من الهند وتبت
وياجوج وماجوج والترك والروم وبربر والحبشة [f° 4 v°] وذكر
بلاد الإسلام من الحجاز والشام واليمن والمغرب والعراق
والجزيرة والسواد وآذربيجان وارمينية والاهواز وفارس
وكرمان وسجستان ومكران والجبل وخراسان وما وراء النهر
وذكر المساجد والبقاع الفاضلة مثل مكّة والعراق وذكر
الثغور والرباطات وذكر ما حكى من عجائب الارض وعجائب
اصناف الناس وذكر ما بلغنا من المدن والقرى ومن بناها
وأنشاها وذكر ما جآء فى خراب البُلدان،

الفصل الرابع عشر فى أنساب العرب وأيّامها المشهورة،

الفصل الخامس عشر فى مولد النبىّ ومنشاه ومبعثه الى
هجرته صلعم،

الفصل السادس عشر فى ذكر مقدم رسول اللّه صلعم الى
المدينة وعدد سراياه وغزواته الى يوم وفاته،

الفصل السابع عشر فى صفة خَلق رسول الله صلعم وخُلقه
وسيرته وخصائصه وشرائعه ومدّة عمره وذكر أزواجه وأولاده
وقراباته وخبر وفاته وذكر معجزاته،

الفصل الثامن عشر فى ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأَمر منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر حُلاهم ومدّة أعمارهم وابتداء إسلامهم وذكر أولادهم ومن أَعْقب منهم ومن لم يُعقِبْ،

الفصل التاسع عشر فى اختلاف مقالات اهل الإسلام، وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الخوارج وفرق المشبّهة وفرق المعتزلة وفرق المرجيّة وفرق الصوفيّة وفرق أصحاب الحديث رضهم،

الفصل العشرون فى مدّة خلافة الصحابة وما جرى فيها من الفتوح والحوادث الى زمن بنى أُميّة وهو يجمع خلافة ابى بكر رضه وما كان فى أيّامه من الرِدّة والتنبّى والفتوح وخلافة عمر رضه وما كان فى ايّامه من الفتوح وخلافة عثمان وما كان فى ايّامه من الفتوح والفتن وخلافة على بن أبى طالب رضه وما كان فى أيّامه من الفتن وذكر الجمل وصِفّين والنهروان [fº 5 rº] وخروج الخوارج عليه وذكر الحَكَمين وخلافة الحسن بن على رضهما إلى أَنْ غلب معاوية على الأَمر،

الفصل الحادى والعشرون فى ذكر ولاية بنى أُميّة على الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير

والمختار بن ابى عُبيد وهو يجمع قصّة زياد وموت المغيرة وعمرو
ابن العاص ووفات الحسن بن على رضهما وأخذ معاوية البيعة
ليزيد وولاية يزيد بن معاوية عليهما اللعنة ومقتل الحسين
ابن على رضهما وقصّة عبد الله بن الزبير وذكر وقعة الحرّة
وموت يزيد بن معاوية وولاية معاوية بن يزيد وذكر
فتنة ابن الزبير الى ان قتله الحجّاج فى ولاية عبد الملك
ابن مروان الى آخر أيّامهم ،

الفصل الثانى والعشرون فى عدد خلفاء بنى العبّاس من سنة
اثنتين وثلثين ومائة الى سنة خمسين وثلثمائة ،

فالناظر فى هذا الكتاب كالمشرف المطّلع على العالم مشاهدًا
حركاته وعجيب أفعاله والسابق له قبل تركيبه وحدوثه الباقى
بعد انجلائه ودثوره وفيه لطرق العلم توطئة ولأهل الدين
قوّة وللمبتدى رياضة وللمستأنس به سلوة وللمتفكّر فيه تبصرة
وعبرة وهو الى مكارم الاخلاق داعٍ وعن الدناءة ناهٍ والله نسأل
أَن ينفعنا ومن نظر فيه بما ضُمّن وأُودِع وان ينبّهنا عن سِنَة
الغفلة ويوفّقنا توفيقًا بحسن الإصابة إنّه سميعٌ قريب[1] *

[1] *Qor.*, s. XI, v. 64.

أَلفصلُ الأوّلُ

،، فى تثبيت النظر وتهذيب الجدل ،،

أَقول وبالله التوفيق وَمَن عندَهُ العصمة والتسديد ان معرفة هذا الفصل من أعوان الأسباب على درك الحقّ والتمييز بينه وبين ما يضادّه لاغناء بأَحدٍ عن مطالعته والإشراف عليه ليعرف الصدق من نفسه ومن غيره إذْ قد يعترض من الفكر والتخايل والأوهام الفاسدة والخطرات الردئة ما يلتبس معها الحقّ ويتغلّب عندها الظنّ والشكّ وليس ما يميّز بينهما ويدلّ على صحّة الصحيح وبُطلان الباطل منها إلّا النظر وبه يعترف السؤال الساقط من السؤال اللازم والجواب الجائز من الجواب العادل فلنذكر الآن منه لمعًا لهام ما نحن قاصدوه يكون عُدّة للناظر وقوّة للمناظر ثمّ من بعد يستقصيه ان [شاء] اللّه فى

كتاب استسناه على هذا النوع وسمّيناه كتاب العلم والتعليم
ومن عند اللّــه العصمة والتوفيق ،، أقول أَنّ العلمَ اعتقـادُ
الشئ على ما هو بـه إن كان محسوساً فبالحسّ وإن كان معقولًا
فبالعقل والحسّ والعقل أَصل مـا تردّ اليه العلوم كلّها فمااقَضَيـا
باثباتـه ثبت ومـا قضيا بنَفْيه انتفى هذا إذا كانا سليمَيْن من
الآفـات برِئَـيْنِ من العاهات وعوارض النقص غسيلين من
عشق عـادة الالف والنشو [fº 5 vº] لا يـكاد يقـع حينئذٍ فى
محسوسه ومعقولـه اختلاف إلّا من مخالف او من معاند لأنّهما
على ضرورة لا يعترض للحاسّ شكٌّ فى هيئَة المحسوس وصورته
ولا يقدر المضطرّ ببديهة عقلـه أَن لا يعلم مـا يعلمه ويتيقّنـه
ولا يُصدّق مَنْ يـدّعى خلافـه ولو كان مضطرّ الى دعواه كما
اضطرّ فى حواسّه لما ظهر من أحد خلافٌ ولا احتيج الى كسر
قولـه والكشف عن عُوار كـلامه ألا ترى أنّـه يستحيـل ان
تجد الحاسّة النار باردَة والثلج حارًّا فى الظاهر كما يستحيل ان
يكـون المعلوم متحرّكًا ويعلم ساكـنـا او يكـون فى نفسه
أبيض ويقـع العلم بـأنّـه أسود ولو جاز هذا لبطلت العلوم
كلّها رأْسًا وفسدت الاعتقادات فساغ لكل قـائل ما أراد من

ادّعاء السمع البصر والبصر السمع والحىّ ميّتاً والميّت حيّاً وهذا محال لأنّ العلم اذا كان ادراك الشئ على مـا هو به من حدٍّ وحدّه ثم لم يُدرك ذاتـه كما هو لم يكن معلوماً وكذلـك الحسّ إذا لم يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوساً وهذا لا خلاف فيه بين المتميّزين العاقلين قـاطبةً إلّا رجلَين اثنَيْن أحدهما العامى الـذى لا نظر لـه لاغفالـه آخذاً لـه استعماله ومتى لاح له الحقّ اتبعه وانقطع خلافـه لان قولـه ذاك عن حَدْس وظنّ وسماع وتقليد فـإذا قرع سمعه مـا يشهد بتصديقه قلبه مـال اليـه وقبله والثانى الجاحد المعانـد الـذى يسمّيـه القدمـاءُ السوفسطانى وسنذكر فساد مذهبهم فى موضعه ان شاءَ الـلّـه تعالى ، وضدّ العلم الجهل ومعناه اعتقاد الشئ على خلاف ما هو به وليس كلّ من لا يعلم جاهلًا بالاطلاق ولكنّ الجـاهل فى الحقيقـة التـارك طلب حدّ الشئ وحقّه المعتقـد لـه على غير مـا هو بـه ولـولا ذاك لما استحقّ الـلائمـة والمذمّـة على جهلـه »،

القول فى كميّة العلوم ومراتبها ، أقول أنّ اسم العلم قد يُطلق فى الجملة على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخطرة

والمعرفة وكلّ ما يحصل منه ادراك شئ ظاهرًا أو باطنًا
ببديهة عقل أو مباشرة حاسّة أو استعمال آلة كالاستدلال
والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأنّ هذه الخصال
كلّها آلات ادراك العلم وطُرُق التوصّل اليه وممّا يصاب من
هذه الجهة فروع بالإضافة إلى علم البدايه والحواسّ [أ]لا
ترى انّ الإنسان العاقل المميّز مضطرّ الى شواهد عقله وحسّه
غير مضطرّ الى استدلاله وبحثه أو لاترى أنّ لاسبيل الى
البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أُصيب بحسّه فاوّل
العلم الخطرة الصادقة وهو كالبديهة مثلًا بَلْ بقوّة البديهة
وآخره اليقين وهو استقرار الحقّ وانتفاء الشكّ والشبهة عنه
وإنّما اشترطنا فى الخطرة الصدق لانّه قد يخطر النفس
والهوى والطَبْع والعادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُعدّ
من آخر العام اليقين الذى يُحيط بالاشيآء على وجهها ويدركها
بكنهها والمعرفة ادراك أينية[1] الشئ وذاته فمن قائل انّها
ضرورة وآخرأنّها [f° 6 r°] مكتسبة والفرق بينها وبين العلم ان
العلم الإحاطة بذات الشئ عينِه وحدِه والمعرفة ادراك ذاته

[1] Ms. أبنية.

وثباته وان لم يدرك حدّه وحقيقته فالعلم اعمّ وابلغ لأنّ
كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلومًا ألا ترى أنّ
الموحّدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونه إلّا بالاثبات لأَنَّ الكيفيّة
والكميّة عنه منفيتانِ، والوَهْم اعتقاد صورة شئ محسوس او
مظنون وان كان منفيًا وجودُه فى الظاهر لأَنَّ قوّة الوهم فى
انبساطها تضعُف فلذلك [ترى] ما لا تراه العيون وكذلك
العين اذا اُمتدّت قوّة بصرها وبعدت مسافة المرئىّ عنها رَأَتْه
على خلاف ما هو به من الصغَر والعِظم والصورة واللون وغير
ذلك من الهيآت وما خلا عن الهيآت والصفات والحدود كلّها
فلا يمسّها الوهم ولا يتصوّر فى النفس والفهم هو المعرفة وقوّة
الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبّع
والفطنة قريبة المعنى من الذهن وانّما احتجنا الى هذا لأنّ
كثيرًا من الناس يولعون بالبحث عن هذه الأسامى ويستفرقون
بينها واما الأسباب التى يتوصّل بها الى ما خفى من العلم
فالفكرة وهى البحث عن علّة الشئ وحدّه الرأى والرويّة
والاستنباط انتزاع ما فى طىّ المعقول والمحسوس والاستدلال
والاجتهاد وقد عدّ قومٌ ميل العادة والطبع الّا ما يميلان اليه

او ينفران منه علماً فهذه جملة أُصول العلم وطُرقها ومحصولها راجع الى ثلاثة أصناف الى المعقول بديهةً والمحسوس ضرورةً لأنّ ما يدرك بهما يدرك بلا واسطة ومقدّمات والثالث المستدلّ عليه المستنبط بالبحث والامارة فهذه يقع فيها الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيّز الحاسّة والبديهة وتفاوت قُوى المستدلّين والناظرين وتفاوت أرآئهم وعقولهم وهذا يكثر حدًّا وفيه صُنّفت الكتب ودُوّنت الدواوين من علمى الحكمة والملّة مُذْ قامت الدنيا على ساقها ولا يزال كذلك الى انقضآء الدهور وتخرُّم الأيّام وكثير من الناس أَبَوْا أن يسمّوا علم البديهة والحسّ عاماً على الحقيقة لاشتراك الناس كلّهم فيه واستواء درجاتهم فى ذلك ثم هو غير مستفاد ولا مكتسب بَلْ أوجبه الطبع العزيزة وقوّة التمييز والخالقة ،

القول فى العقل والمعقول ، أقول أنّ العقل قوّة إلٰهيّة مميّزة بين الحقّ والباطل والحسن والقبيح وأُمّ العلوم وباعث الخطرات الفاضلة وقابل اليقين وقد قيل إنّما سمىّ عقلاً لأنّه عقال للمرء عن التخطّى إلى ما خُطر عليه وقد أكثرت الفلاسفة الاختلاف فى ذكره ووصفه قال ارسطاطاليس فى كتاب

البرهان أن العقل هو القوة التى بها يقدّر الإنسان على الفكرة
والتمييز وبها يلتقط المقدّمات من الاشياء الجزؤيّة يؤلّف منها
القياسات وقال فى كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل
فى الإنسان بطريق الاعتياد من انواع الفضائل حتّى يصير له
ذلك خُلقًا وملكة متمكنة فى الناس وقال فى كتاب النفس
بخلاف هذا وقسّمه الى ثلاثة أقسام الى العقل الهيولانىّ
والعقل الفعّال والعقل المستفاد وفسّره لاسكندر[1] فقال انّ العقل
الهيولانىّ هو ما يوجد فى شخص الإنسان من امكان التهيّؤ لتأثير
العقل الفعّال وانّ العقل المستفاد [fº 6 vº] هو المصوّر والعقل
الهيولانىّ بمنزلة العنصر وانّ العقل الفعّال هو المخرج للعقل
المستفاد على الوجوه بالفعل وزعم بعضهم أنّ العقل هو النفس
وبعضهم يقول هو البارئ جلّ جلاله مع تخايط كثير منهم فى
هذا الباب وممّا توارثناه عن الأسلاف قولهم العقل مولود
والأدب مستفاد وإنّما سمّاه بعضُهم باسم افعاله فلا يضايقه
بعد ان أتى المعنى المطلوب منه ألاترى انه يقال لكتب
المتّصنين أخبار الأوائل والأشعار أنها عقولهم والمعنى نتائج

[1] Ms. الاسكندر.

عقولهم وأذهانهم وقيل ظنّ الرجل قطعة من عقله فكلّ هذا
على التمثيل والاستعارة ولا يختلف قول القدمآء فى ان العقل
الهيولانىّ اصفى جوهر النفس وحسّه فوق حسّ النفس ورتبتُه
على رُتَب الجواهر ودُون رتبة البارئ جلّ جلاله وهو أقرب
الأشياء منه المسلمون لا يعلمون من العقل إلّا ما هو مركّب
فى الإنسان خاصّةً دون سائر الحيوان فى العالم السُفلىّ فامّا ما
يحكى عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يردّه العقل او كتاب
الشريعة وقد ذهب قومٌ أن حجّة الطبع فيما يوجبه ويسلبه أَولى
من حجّة العقل وادّعوا ذالك من جهة اشتياق الى ما وافقه
ويلائمه وانقباضه عمّا يعافه وينافره وانّ الله عزّ وجلّ خلقه
اذ خلقه كذلك ولا يجوز ان يخلق شيأً عبثًا او لغير حكمة
وفائدة والعقل مستحسن وهو يستحسن الشئ ثُمّ يستقبحه
ويستصوبه ثُمّ يستخطئه والطبع لا يستحلى مُرًّا ولا يستمرّ حلوًا
ولا يجد الشئ عن خلاف ما هو به فأجابهم مخالفوهم أن الطباع
لا تعرف إلّا ما يحسّ وتُباشر وقد تغيّرها العادات والعوارض
عن أصل جبلّتها فتميل فى بعض الأوقات الى ما كانت تنفر
عنه وينفر عمّا كانت تميل إليه وليس من قوّتها التمييز بين

الحسن والقبيح بالاستدلال كما فى قوّة العقل وقد صحّت
طبائع البهائم وسلمت أخلاطها ثُمّ لم يحسن خطابها وامتناع الطبع
عن استحسان الحسن واستقباح القبيح غير محلى له من
الحكمة ولا موجب العبث فى خلقه كما أنّ الموات لا تحسُّ
بشىْ من الأعراض ثُمّ لم يخلُ من الحكمة بَلْ دلالته وما
تحويه من المنافع والمضارّ الذى خصّ به جنسه فائدته
وحكمته فدلّنا ان موجب العقل هو المعوّل عليه فى الاعتبار
والاستدلال لإسقاط التكليف ووضع الامتحان على البهائم التى
سلمت طباعها وأخلاطها فان قيل بمَ عرفتم العقل قيل بنفس
العقل لأنّه الأصل والبديهة وأمّ علوم الاستدلال كما عرفنا
الحسّ نفس الحسّ لأنّه الطبع ولو كُنّا عرفنا العقل بعقل
لأفضى الأمر إلى ما لا نهاية له ولمّا كان العقل أصل
العلوم ورأسه فان قيل فبِمَ يفرقون بين دلالة العقل ودلالة
الهوى والعادة قيل بالردّ الى الأصل لأنّ الفرع يشاكل
الأصل ولو لم يشاكله لم يكن فرعًا له ومن الدليل على
وجوب حجّة الطبع تعظيم الناس كلّهم العقل وتبجيلهم إيّاه
وتفضيلهم مراتب العقلاء ورفعهم أقدارهم واستنامتهم إلى

ارآئهم واعتمادهم على اشارتهم وتمنّيهم درجاتهم والاستخفاف بمن ذلّ عقلـه وبـدا سخفه ولم يفعلوا [f° 7 r°] ذلك بمن استقامت طباعه وكملت أخلاطـه فعامنـا انــه معنى غير معنى الطبع وهو العقـل*

القول فى الحسّ والمحسوس ، أقول أنّ الحواسّ طُرُق وآلات مُهيّأة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عزّ وجلّ عليه فإذا باشرت الحاسّة المحسوس أثّرت فيه بقدر قبولـه وقبلت منه بقدر تـأثيره فبدرت بـه النفس وأدّتـه الى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعته أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفـة وبحث عنه العقل وميّزه فما حقّقه صار يقيناً وما نفاه صار باطلًا والحواسّ الخمس اولًا يوجد شئ لا يمكن وجوده بشئ من الحواسّ فيحتـاج الى حاسّة سادسة ويزعم قومٌ أنّها أربـع ويجعلون الـذوق ضرباً من اللمس وبعض يقول ستّ ويعدّون فعل القـلب حاسّةً سادسةً وهذا سهل واسع بعد أن اقرّوا بصحّة وجود فعل الحواسّ لأن من الناس مَنْ ينكر حقيقـة فعلها تتغيّر أحوالها ويحتج برؤية من يرى وجهه فى السيف طويلًا وقـامتـة فى المآ الذى لا يكون مساحة عمقه كمساحة قـامته منكسةً ويرى الصغير كبيرًا والكبير

صغيرًا والواقف سائرًا وهذا مِن رأى المعانـدين والموّهين إذْ لا توجد هذه التغيّرات فى غير حاسّة البصر وذلك للعلل العارضة من بُعد المسافـة وتكاثف الهواء فيقع الغلط من جهة الكيفيّـة والكميّـة لأن الحاسّة لا تضبط الهيأة إذا بعُدت فـامّـا الانية فلا يقع فيها غلط مـا لم يفرط بُعدها فلا تحصر شخصها الحاسّة وأمـا سائر الحواسّ التى فعلها بالمضامّـة والمباشرة فـلا يقع فيها اختلاف مـا صحّت وسلمت وأهون مـا يقابل بـه صاحب الرأى انكار الحواسّ نفسها عروضًا لانكار فعل الحواسّ ومـا اعلم انا عقـلًا [1] يشتغل بردّ هذا الرأى وإنـكاره ولظهور فساده وفُحش خطابـه *

القول فى درجات العلوم [2] أقول انّ الأشياء كلّها فى العقول على ثلاثـة أضرُب واجبٌ وسالبٌ ومُمكنٌ فـالواجب فى العقـل بنفس العقل واستدلاله كعِلْمنا بـأنّ البناء يقتضى بانيًا والكتابـة يقتضى كاتبًا ولابـدّ لكلّ صنعةٍ من صانع وان الواحد والواحد اثنانِ وان الشيخ كان شبابًا والصغير كان رضيعًا وما أشبه ذلك والسالب الممتنع المستحيـل فى العقـل بنفس العقـل واستدلالـه

[1] Ms. ناعقل.

[2] Ms. المعلومات.

وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع فإنّ
هذا لا يوجبه العقل ولا يتصوّره الوَهْم ولا يستقرّ عليه الطبع
والممكن الجائز الموهوم فى العقل بنفس العقل كما حكى عن
القرون السالفة والبُلدان النائية وما يذكر انه سيكون بعدُ
فإنّ ذلك ممّا يجوز فى العقل انّه كذلك ويجوز انه ليس
كذلك لأنّه لا يدلّ خاطر على تحقيق شئ من ذلك الّا
ويجوز ان يدلّ خاطر على ابطاله لدخوله فى حدّ الجواز
والامكان فلمّا تكافأت الادلّة به قصر على حدّ الوقوف
فلا شئ الّا وهو معقول معلوم او معروف او موهوم او
محسوس*

فى الحدّ والدليل [f° 7 v°] والمعارضة والقياس والاجتهاد والنظر
وغير ذلك ، أقول انّ الحدّ ما دلّ على عين الشئ وغرضه
باحاطة وإيجاز كحدود الدار والارضين التى تميّز حصّة كل
مالك من حصّة صاحبه فيعرف به داره فأرضه والزيادة فى
الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك
الإنسان حىّ ميّت ناطق هذا حدّه فإن زيد فيه شئ او نقص
انتقض لأنّ الاعتبار صحّة الحدود فى الاطّراد بالعكس

والقلب فمتى لم ينعكس لم يستقِمْ هذا الّذى اختاره فى الحدود
وإن كان للناس فيـه أقوال ومذاهب لأنّ منِ رأْى بعضهم أن
حدّ الشئ وصفه لـه فى ذاتـه كالعلّـة وعند بعضهم حدّ الشئ
من ذاتـه واسمه واعتبر بعضهم طرده من جانبيْن كما قُلْنـا
وبعضهم اقتصر فى جانب واحد اذا [صحّ] الطرد وهـذا لا
يستقيم إلّا فى باب الشرع والالزام التى حجب عن الناس عللها
الموجبة كقول من زعم مثلًا أنّ حدّ الصلاة أنّها طاعة ثم يقول
وليس كلّ طاعة صلاةً فـالأَوْلى فى هذا أنْ نسميّـه صفةً لا
حدًّا لِأنّـه لو كان حدًّا لسلم فى الطرَفيْن كما قـال أنّ حدّ
الإِنسان أن يكونَ حيًّا ميّتًا نـاطقًا فكلّ حىّ ميّت نـاطق
إنسانٌ وكلّ إنسان حىٌّ ميّتٌ ناطقٌ وقـد قيـل الحدّ جامع لما
يفرّقه التفصيل وأقول ان الدليل مـا دلّ على المطلوب ونبّه
على المقصود كائنًا مـا كان من جميع المعانى. التى تتوصّل بها
الى المدلول عليه وقد يدلّ الدليل على فساد الشئ كما يدل على
صحته فـاذا دل على صحة شى فهو دليل على فساد شئ والدليل
على فساد الشئ فهو دليـل على صحّة ضدّه ويـدلّ الـدلائـل
الكثيرة المختلفـة على العين الواحدة كالطُرُق المؤَدّيـة الى مكان

واحد وكلّ ما هدى الى شئ فهو دليل عليه فالبارئ سبحانه
وتعالى دليل خلقه والرسول عليه السلم دليل أُمّته والكتاب
دليل والخبر دليل والاثر دليل والحركة والصواب دليل وما
أشبه ذلك هذا الذى اختاره فى الدليل الذى يستدلّ أهل
النظر به وقد زعم بعض الناس ان الدليل هو المستدلّ نفسه
فناقضه مخالفه بأنّه لو كان كذلك لجاز للمدّعى إذا طُولب
بالدليل أن يقول أنا الدليل وهذا سهل قريب التفاوت لمن
تأمّل أن اللغة لا تمنع ان يكون الدليل فاعل الدلالة
كالشريب والسمير وان يكون عين الدلالة والمدلول عليه
كالصريع والقتيل يقول المدّعى أنا الدليل إذا اراد فاعل
الدلالة غير خَطاء وانما يستحيل اذا أراد به عين الدلالة
على ما يطالب به وقد يكون عينه دليلًا على الصانع اذا سُئل
لأنّه ما من مدلول عليه إلّا وهو دليل على شئ آخر وإن لم
يكن دليلًا على نفسه وأقول ان العلّة السبب الموجب وهى
ضربان عقليّة وشرعيّة فالعقليّة الموجبة بذاتها غير سابقة
لمعلولاتها كحركة المتحرّك وسكون الساكن فالشرعيّة التى
تطرى على الشئ فتغير حكمه ويكون مقدّمًالها معلولًا بعلّة قبلها

وشرط صحّة العلّة جريانها فى معلولها فمتى ما تقاعست عن
الاطّراد تهافت ذلك كوجود عين او حكم لعلّة من العلل ثم
وجود تلك العين والحكم مع زوال تلك العلّة او زوال
العين [f° 8 r°] والحكم مع بقاء العلّة وصحة العلّة كصحة
الحدّ سوآء مع أنّ كثيرًا من الناس يسمّون العلّة الحدّ
وليس ببعيد لاتّفاق المعنى وقيل ان العلة ذات وصف
واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصحّ الحكم
بها إلّا باجتمّاع أوصافها كقولنا فى الإنسان انّه حىّ ميّت
ناطق لو اخترلت صفة من هذه الصفات لبطلت ان تكون
حدًّا للإنسان وعلّة له وأقول ان المعارضة تصحيح ما رام
خصمك افساده من مذهبك بمثل مذهبه ومعنى المعارضة
والمقابلة على السوآء والمماثلة فإذا وقعت على خلاف ما
يذهب الخصم اليه فهى ساقطة فاسدة وقد أنكر قوم هذا
الباب وابطلوه وزعموا انه خارج عن حدّ الجواب والسوأل
فأجابهم مخالفوهم بانّه ضربٌ من السوأل او زيادة فيه
واستدلّوا بأنّ المعارض مجيب او مرئى مناقصه ولوجاز ان
تمسك المعارض له عن جواب ما عورض فيه لجاز ان تمسك

المسؤل عن جواب[1] ما سُئل إذا السائل مستجير والمعارض مجير ثم نزل المعارضة من صحّحها أربع منازل يصحّ منها ثلاث[2] ويبطل واحدة وهى معارضة السؤال بالسؤال كسائل رجلًا ما قولك فى كذا فيكُرٌ عليه وما قولك انت فى كذا فهذا لأنه ليس فيه شئ من جواب ما سئل والثانية معارضة الدعوى بالدعوى كقائل ان العالم قديم فيقول له الخصم ما الفرق بينك وبين من يدّعى انه مُحدث فيلزم مدّعى القدم اقامة البرهان والتفريق بين المدعوين ومتى بطل قول من ادّعى انه محدث صحّت له دعواه فى القدم لأنّ فى صحّة الشئ فساد غيره والثالثة معارضة العلّة بالعلّة كقول الموحّد للمجسّم إذا قلت أنّ البارئ جسم لانك لا تعقل فاعلًا إلّا جسمًا فَلِمَ لم تقل مركّب مؤلّف لانك لَمْ تَرَ إلّا جسمًا مركّبًا مؤلّفًا والرابعة معارضة الدليل بالدليل فهو أن يقال اذا كان دليلك كيت وكيت فما الفرق بينك وبين من يزعم ان الدليل شئٌ آخر غير ذلك فالجواب انّك لا تقابل علّة بعلّة ومطالبتك بالفرق مطالبة بتصحيح الدليل واقول ان

[1] Ms. répété deux fois.
[2] Ms. répété deux fois.

القياس ردّ الشئ الى نظيره بالعلّة المشاركة ويقال القياس معرفة المجهول بالمعروف وقيل كلّ ما عُلم بالاستدلال من غير بديهة ولا حاسّة فهو قياس وقيل القياس التقدير واحتجّ قائلوه بقول الفرزدق [وافر]

ونحن الى زفوف مغوّراتٍ نقيس على الحصا نطقًا يقينا

وهذه الأقوال قريبة المعانى كأنّها فى مشكاةٍ واحدةٍ وقد أجاز بعض القائسين القياس على الإسم كما أجازوه على المعنى والقياس الصحيح الذى يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو اكثرها وتسمَّى القياس البرهانىّ لدخوله فى حيّز علوم الإمكان وقد انكر بعض الناس القياس فلزمه ان ينكر ما فات حواسّه وبدائهه ويُقرّ بصحّة كلّ ما جآء من حقّ وباطل وقضيّة العقول توجب ان تكون كلّ مشتبهَيْن واحدًا من حيث اشتبها وإلّا فلا معنى للاشتباه ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارّة ونار باردة لاشتراك النيران فى طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لهما فى القضيّة وأقول انّ الاجتهاد هو امعان الفكرة والاستقصاء [f° 8 v°] فى البحث عن وجه الحق

الـذى لا يصاب بـالبديهة ولا بـالحسّ لاكن بـالطلب والاستدلال وهو مقدّمة القياس وكان القياس القضاء بـالشئ على التمثيـل والاجتهاد طلب وجه ذلـك القضاء من اصحّ وجوهه والتحرّز من وقـوع الغلط فيـه لأنّ القيـاس من غير اجتهاد كالقول بـالظنّ من غير استدلال وأقول ان النظر فعل الناظر بقلبه ليرى مـا خفى عليه فكما أنّ العين قد تقع على الشئ ولا يتبيّنـه إلّا بعد النظر والتفكر فكذلـك القلب قد تعرض له الخطرة فلا يثبتها إلّا بعد النظر والتفكر والمناظرة المفاعلة منه وقد تكون من تشبيه النظير بـالنظير فيكون معناه القياس المحض ،

القول فى الفرق بين الـدليل والعلّـة ، أقول ان الـدليل مـا هدى الى الشئ وأشار إليه والعلّة مـا اوجبه واوجده ويُوصَل إلى الشئ بدليله لا بعلّته لأنّ علّته ايضًا مما يوصل إليها وتُعلم بدليل لأنّ الذى يدلّ على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول عينه ومتى زالت العلّة زالت العين وتختلف الأدلّـة على العين الواحدة ولاتختلف العلّة ومحالٌ وجود ما يفوت الحواسّ والبدائه بغير دليل وغير محال وجود ما لا علّـة لـه ،

القول فى الدليل، أقول انّ من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجهٍ أو وجوهٍ كثيرة كرؤيتنا بعض الجسم والبعض يدلّ على الكلّ متّصلًا كان او منفصلًا ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب كالصوت يدلّ على المُصوّت ولا يشبهه والفعل يدلّ على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدلّ على النار ولا يشبهها ويلزم من يزعم أنّ الدليل لا بُدّ أن يوافق المدلول عليه بجهةٍ من جهاته وإن خالفه فى اكثرها فامّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلّق واذا سقط تعلّق الدليل بالمدلول عليه بطل ان يكون دليلًا إلّا ان لا شئ فى الغائب إلّا جسم أو عَرَض لأنّه لا يرى فى الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما فى العالم الأعلى لأنّ ما فى العالم الأسفل مخالف له فلا يكون دليلًا عليه فإن زعم زاعمٌ أنّه كذلك لا شئ فى جسم أو عَرَض او حدث غير أنّه مخالف لما فى الشاهد طُولب بالفرق لأنّ المخالفة تقطع التعلّق والاشتباه والزم معارضه من عارضه بأنّ لا شئ فى الغائب إلّا وهو حادث ولا فى الشاهد إلّا غير حادث *

القول فى الحدود ، اقول ان الشئ اسمٌ عامٌّ يُطلق على الجوهر والعَرض وما يدرك بالبديهة والحاسّة والاستدلال من جميع ما مضى وانقضى وما هو ثابت فى الحال وما سيكون فيما بعد وحدّ الشئ ما يصحّ أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو يخبر عنه فاذا كان هذا حدّ الشئ فقد ثبت أن المعدوم شئ لأنّه يصحّ الخبر عنه وأنكر قومٌ أنّ يكون المعدوم شَيْئًا وجعلوا حدّ الشئ أن يكون مثبتًا موجودًا لأنّ الموجود والمثبت يعمّان الأشياء كما يعمّ الشئ ولا نقيض لهما قالوا فلو كان حدّ الشئ المعلوم لوجد له [fº 9 rº] نقيض وهو المجهول وزعم بعضهم أنّ حدّ الشئ المُثبتُ لا غير ولا شئ منفى والمعدوم غير مُثبَت واحتجّ بعضهم بكتاب اللّه عزّ وجلّ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا[1] فنفى ان يكون الانسان قبل ان يخلق شيـًٔا وبقوله تعالى هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْـًٔا مَذْكُورًا[2] والشئ يذكر قبل الوجود ولو لم يكن شَيْـًٔا غير المثبت الموجود

[1] *Qor.*, s. XIX, v. 68. Ms. اولم ير *(sic)*.

[2] *Qor.*, ch. LXXVI, v. 1.

أوجب أن يكون ما يخبر عنه من اخبار العالم والقرون مُذْ قامت الدنيا باطلًا هذرًا فإن قيل أنّ ذلك قد خرج مرة الى الوجود قيل وما يدريك ان ما هو كائن بعد غير خارج الى الوجود وقيل اذا خرج الى الوجود فهو شئ قيل فما خرج عن الوجود فلا شئ فإن قيل محال تقدّم الاسم على المسمَّى قيل ذلك فى الخواصّ فامّا العامّ فغير ممتنع لأنّا نقول سيكون فى الدنيا أمور واسباب وحيوان فتتقدّم اسمآءها قبل وجود شخصها وقد كان ابو الهذيل يغايظهم بقوله فى المعدوم انه جسم خيَّاطٍ على رأسه قلنسوة يرقص ونقيض الموجود المعدوم ونقيض المثبت المنفىّ وليس نقيض الشئ لا شئ لأنّ المنفىّ والمعدوم شيئان قد نفى وعُدم ولا شئ لا يوصف بالعدم والنفى فإن قيل فجسم هو أم عَرض أم حركة أم سكون قيل هو شئ معلوم مقدور عليه لا غير وحدّ الجسم أن يكون طويلًا عريضًا عميقًا مؤلّفًا مركّبًا من اجزاء وابعاض شاغلًا للمكان حاملًا للاعراض ولا يوجد بتة خاليًا منها او من بعضها فان انكر مُنكر أن يكون الموصوف بهذه الصفات جسمًا سُلّم له وسُوهل فى التسمية بما شآء وطُولب بالفرق

بينه وبين ما لا يوجد بهذه الصفات وكان هشام بن الحكم
يزعم فى حدّ الجسم انه ما قام بنفسه لانه كان يقول
البارئ جلّ وعزّ عن قوله جسم فالجسم فى اللغة ما غلُظ
وكثف وكذلك يقولون للجثّة العظيمة جسيمة وإنّما أُطلق
هذا الإسم على ما الموصوف به معناه فان غُيّر اسمه لم
يتغيّر معناه وإنما يتبيّن الفرق عند تفصيل الأسماء
والأشخاص وحدّ العرض أن لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلّا
فى جسم فإن أنكره منكرٌ قوبل بما يقابل به منكر
الجسم وطولب بالفرق بينه وبين غيره ثم كلّم على ما أشار
اليه من المعنى وقد زعم قوم أن لا عرض فى العالم وأن
الأشياء كلها أعراض مجتمعة متفرّقة وحدّ الجوهر حدّ بعينه
لانّه جسم ولأنّ ما خلا عن حدود الجسم والعرض والجزء
لم يضبطه الوهم ولا يتصوّر فى الظنّ الّذى هو أضعف أجزاء
العلوم ودخل فى خبر الامتناع وقد يسمّى الجوهر الطينة
والمادّة والهيولى والجُزْء والعنصر والاسطقس واختلف الناس
فى الجزء الّذى لا يتجزّأ من الأجسام فقال كثيرٌ من
الناس انّه لا يزال مجزّأً حتّى يصير فى الصغر الى حيث

لا يجوز ان يتجزّأ ولا يكون لـه ثُلث ولا رُبع ولا نِصْف
قـالوا ولولا ذلـك لَما كان لـلأجسام تنـاهٍ ولما كان شئ
أكبر من شئ ولا أصغر منه ولما جاز لقائل أن يقول أنّ
الله قـادر على أن يرفع من الجسم كلّ اجتماع خلقـه فيـه
فـأقلّ الاجتماع بين جزئَيْن قـال ابن بشّار النظام وهشام بن
الحكم انـه يتجزّأ تجزّءًا بـلا نهايـة ولم يتهيـأ بـالفعل
فـانّـه موهوم واحتجّوا بـأنّـه كما لا يجوز أن يخلق الله
شيـًا لا شئ أكبر منـه فكذلـك لا يجـوز [fº 9 vº] ان
يخلق شيـًا لا شئ أصغر منه وقـالوا لو كان قول من قـال
أنّ الجـزء لا يتجـزّأ صحيحًا كان فى نفسه لا طول لـه ولا
عرض فـإذا حدث لـه ثـانٍ حدث لهما طول فلن يعـدّوا
الطول ان يكون لأحدهما دون الآخر أو لَهما معًا فلمّا ثبت انّـه
لهما[1] علم انّـه يتجزّأ وقـال الحسين النجار الجزء يتجزّأ حتّى يعود
إلى جزء لا يقبله الوهم فيبطـل حينئذٍ وقـال قومٌ لا ندرى
كيف القول فيـه واختلفوا فى جواز الرؤيـة عليـه وحلول
الأعراض فيه من اللون والحركـة والسكون وغير ذلك فأجازه

[1] Ms. ajoute و.

قومٌ ونفاه آخرون والقدماء مختلفون فى هذا الفصل على خلاف
قول أهل الاسلام فيزعم بعضهم انّـه يُرى قبـل الاسطقسات
الاربعة اسطقسات آخر صاغر الأجزاء غير متجزّئـة فى غايـة
الصغر منها تركيب الاسطقسات التى منها تركيب العالم وامّـا
ارسطاطاليس يقول امّا التجزئـة بـالقوة فـانها[1] بـلا نهايـة
وامّـا بـالفعل فلها نهايـة وقـال بعضهم لا يتجزّأ لا يقبـل
الانفعال مع اختلاف كثير بينهم ، وحدّ الزمان حركـة الفلك
ومدى مـا بين الأفعال هذا قول المسلمين وحكى عن افـلاطن
أنّـه يرى الزمـان كونًا فى الوهم وحكى ارسطاطاليس فى
كتاب السماع الطبيعى أنّ جميع القدمآء كانوا يقولون بسرمديّـة
الزمان الّا رجلًا واحدًا يعنى افلاطن وروى عنه افلوطرخس[2] أنّه
قـال جوهر الزمـان هو حركة السمآء هذا وفـاق قـول
المسامين وبعضهم يقول أنّ الـزمـان ليس بشئ مع اختلاف
كثير بينهم وإنّما ذكر مـا ذكر من مـذاهبهم لتطمئنّ نفس
الناظر الى خلاف القائلين بـالعقل والتمييز وليستفيد يقينًا بما

[1] Ms. فـانـه.

[2] Ms. افلوطوخس.

يعضده من وفاق قولهم لأن فى الإجماع قوّة وهو من أوكد أسباب الاستظهار[1] عليهم ، وحدّ المكان ما اعتمد عليه الجسم أو أحاط به أو حلّه العَرض وهذا أراده ارسطاطاليس حيث قال المكان نهاية المحتوى الذى يماسّ ما يحتوى عليه واختلفوا فى الخلآء والفضآء فقال قومٌ العالم لا خلآء فيه وإنّ الهوآء جسمٌ منتشر بسيط ويمتحن بالآلة التى هى على هيئَة[2] الرطل فى اسفلها نقب فاذا شُدّ اعلاها لم يخرج الماء من اسفلها واذا فتح سَال فعُقل أنّ المآء دفعه دافع وهو الهوآء الداخل فى الكوز وقال آخرون لا يخلو الأجسام من خلآء وهو الفُرج بين الأجزآء واستدلّوا بالمآء الذى يُصبّ على الأرض فيغوص فيها وفرق قومٌ بين الفضآء والخلآء فقالوا الخلآء هو الفراغ من الجسم والفضآء هو المحتوى على الخلآء بلا نهاية ويزعم قوم أنّ الخلآء والفضآء شئ واحد ويقول آخرون انه ليس بشئ وحدّ المتغايرين ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر وقال بعضهم حدّهما ما اختلف أوصافهما وحدّ

[1] Ms. الاستطهار.

[2] Ms. هَيئأة.

الضدّين ما لايجوز وجود أحدهما إلّا مع عدم الآخر وحدّ الموجود
ما ثبت علمًا او حسًّا او وهمًا وهو معنى الشئ وحدّ الاسم ما
دلّ على المسمّى بالتمييز من جنسه والصفة كالاسم فى بعض
الأحوال إلّا أنّ خاصّيّة حدّها الاخبار عمّا فى الشئ كالعلم
فى العالم وقد يفرق قوم بين الوصف والصفة فيجعلون الصفة ما
هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك وحدّ الارادة
ما يضطمره الانسان [f° 10 r°] فى قلبه من فعل او قول او حركة
وحدّ القول ما يُبديه القائل بلسانه وقد يقال للاشارة
قول على المجاز وحدّ المعنى عقد القلب على ما ابدى بلفظه
فزعم ابن كلّاب ان معنى القول نفس القول ولو كان كذلك
ما سأل السامعُ القائلَ ما معنى قولك وحدّ الحركة زوال
وانتقال وهى على ضروب فمنها الحركة الذاتيّة والمكانيّة
وقد قيل الحركة اختلاف وتغيير وحدّ السكون لبث
واستقرار وزعم بعضهم ان السكون ليس بشئ وحدّ الجنس
ما يجمع أشياء مختلفة الصُوَر كالحيوان والنبات وقد قيل
الجنس ما استوعب الانواع وحدّ النوع تخصيص النظائر من
الجنس والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع

والنوع تحت الجنس وهذا المقدار من هذا الباب لإغناء بأحدٍ عن مطالعته فانّه كالمادّة للنظر والآلة للجدل ،

القول فى الأضداد ، اقول ان قول من يزعم انّ الشئ لا يُعرَف إلّا بضدّه محالٌ لأنّ معرفة الشئ بحدوده ودلائله بل شكله ونظيره أسكن[1] من معرفته بضدّه ونديده لأنّ الشئ يدلّ على جنسه ونوعه ما لا يدلّ على ضدّه ولكن الضدّين لا يجتمعان وعند صحّة الشئ فساد ضدّه ولا يقع التضادّ إلّا بين الموجودات فبطل قول القائل أن ضدّ الجسم لا جسم وضدّ العرض لا عرض وضدّ الزمان لا زمان وضدّ المكان لا مكان وضدّ الشئ لا شئ لأنّ الأضداد أشياء متنافية وقول القائل لا جسم ولا عرض لا شئ فى الحقيقة فكيف يُضادّ الشئ بلا شئ ولكن الأجسام والأعراض اشياء مضادّة كالأسود ضدّ الأبيض والقديم ضدّ المحدث لأن القديم الموجود لا إلى أوّل والحادث ما يوجد بعد ان لم يكن[2] ،

القول فى حدث الأعراض ، أقول أنّ معرفة حدث الأعراض

[1] Ms. اسكس.

[2] Ms. لم يمكن.

من أوائل العلوم القائمة فى النفس البديهة وما المنكر لها إلّا
بمنزلة المنكر للظاهر المحسوس لمعاينتنا تعاقب الألوان المتضادّة
على الأجسام كالسواد بعد البياض والبياض بعد السواد
وكذلك الروائح المتضادّة[1] كالكريهة والطيّبة وسائر الحالات
الّتى لا يخلو الجواهر منها كالحرّ والبرد والرطوبة واليبوسة
واللين والخشونة والحركة والسكون والاجتماع والاقتران
والافتراق والطعوم الملاذّ والمكاره وما نجده من أَنفسنا من
الحبّ والبغض والإِرادة والكراهية والشوق والملامة والجبن
والشجاعة والقوّة والضعف والشبيبة والمشيب والنوم واليقظة
والجوع والشبع وما نراه من حال القيام والقعود والقرب والبعد
والحياة والموت والفرح والحزن والرضا والغضب وسائر العوارض
التى تطرأ على الأجسام وبعد أن لم يكن وتزول[2] بعد أن
كانت وهذا باب يستكمل جميع أوصاف العالم وما فيه
لو تكلّفه متكلّف لأنّه الدليل على الحدث والكون وقليل
الشئ يدلّ على كثيره فإن زعم زاعمٌ أنّ هذه الأعراض

[1] Ms. التضاده.

[2] Ms. نزول.

أجسام طولب بالفصل بين الحامل والمحمول ولا بُدّ من التفصيل بينهما ثمّ من الدليل على أنّ العَرض غير الجسم جواز الاختلاف عليه وعين الجسم باقية كالبُسْرة الخضراء مثلاً تراها تصفرّ [f° 10 v°] فتبطل خضرتها ثم تحمرّ بعد صُفرتها وعينها قائمة وكالراضى يغضب فيختلف حاله وعينه لا تختلف والشابّ يشيب والحىّ يموت فلما لم يجز ان يقال لمن قد شاب انّه ليس بذاك الشابّ ولمن مات انه ليس بذاك الحىّ مع ورود حال وارتفاع حال أُخرى عقل أنّ العرض ليس بجسم ولا بعض الجسم لأنّه لو كان كذلك لتغيّر الجسم كما تغيّر الأعراض الحادثة فإذا ثبت أنّ الأعراض غير الأجسام وجب إنّ ننظر أَحادثة هى أَم قديمة فلمّا رأيناها كائنة بعد أن لم تكن وزائلة بعد أن كانت دلّنا ذلك على حدوثها وكونها كوجودنا الجواهر متفرقة بعد أن كانت مجتمعة ومجتمعة بعد أن كانت متفرّقة ولن يخلو أن [تكون] مجتمعة بأنفسها أو باجتماع فيها فإن كانت مجتمعة بأنفسها لم يَجُزْ وجودها متفرقة ما دامت انفسها قائمة فعلمنا أنّها مجتمعة باجتماع ثم نظرنا أذلك الاجتماع جوهر او عرض فدلّنا أنّه لو كان

جوهرًا لكان مجتمعًا باجتماع آخر ثم كذلك الى ما لا نهاية فلما
بطل ما قلنا علمنا أنّه مجتمع باجتماع هو عرض لا جوهر وكذلك
القول فى الحركة والسكون فإنْ قيل أنّ الاعراض كانت
كامنةً فى الجسم ثمّ ظهرت بعد ظهورها حادث أم غير حادث
مع استحالة أن يكون الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
كامنة فى الجسم فيكون الجسم فى حال واحدة ووقت واحد
ساكنًا متحرّكًا ومجتمعًا متفرّقًا فإن التجأوا الى مذهب
من يقول بالهيولى وانّه كان جوهرًا قديمًا لم يزل خاليًا من
الأعراض ثم حدثت فيه الأعراض فحدث فيه هذا العالم بما فيه
قيل لا يخلو حدوث الأعراض فيه من أن يكون كانت كامنة
فظهرت او كانت فى جوهر آخر فانتقلت أو لم تكُنْ بتّة
فأحدثت فلمّا استحال كمون الأعراض فى الجوهر الذى
يزعمونه خاليًا من الأعراض ان يكون مثل أجسام العالم أو
دونها أو أعظم منها او يكون جُزْءًا لا يتجزّأ أو كيف ما كان
فإنّ الصغر والكبر والمثل اعراض لم ينفك منها ولم ينفك من
الحوادث فحادثٌ، واعلم أنّ أحكام هذا الفصل من الفرض
الواجب والحقّ اللازم وخاصّةً معرفة حدث الأعراض وان

الجوهر لا ينفك منها لأنّها الدليل الظاهر على الحدث والحادث والاختراع ونسأل الله التوفيق والتسديد وأن يعصمنا برحمته ويزيدنا بصيرةً فى طاعته،

القول على أهل العنود ومُبْطلى النظر، أقول أنَّ طائفةً من الجاحدين سمّاهم السوفسطانيّة معنى هذه اللفظة عندهم المموّهون المخرقون وقد سمّاهم ارسطاطاليس الملحدين أبطلوا العلوم كلّها رأْسًا وزعموا انّ لا حقيقة لشىء من العلوم والمعلومات فانكروا موجود الحواسّ ومعقول البدائه ومستنبطات الاستدلال وزعموا أنَّ الأشياء على الخيلولة والحسبان وكما يراه النائم فى المنام وقد أعرض كثير من الناس عن مناظرتهم وعيّت على من اشتغل بالردّ عليهم لأن ما أنكروه ضرورة المشاعر والبدائه التى يستغنى فيها عن الدليل لأنّها اصل العلوم ومتى ذهب ذاهبٌ يدلّ على صحّته فقد أوجب الدليل لما لا يحتاج فيه حتّى يقوده ذلك الى ما لا نهاية له وناقضهم من ناقضهم مرئى [1] العامّة فساد مذهبهم فقال الحسّ اوجدكم [fº 11 rº] ما تدّعون أم النظر

[1] *Sic*, ms.

قادكم الى ما تزعمون فان ادّعوا الحسّ كذبهم العيان وإن ادّعوا النظر قالوا لعلّكم غالطون فى نظر عقولكم ولعلّ نظر مخالفيكم يدلّ على خلاف نظركم فان سلّموا الأَمر لزمهم أن لا يناظروا مخالفًا ولا يخطّؤا مُخْطئًا ولا يحمدوا مُحسنًا ولا يذمّوا مُسيئًا وهذا خلف من القول ووهن فى الرأى وإن ادّعوا ترجيح نظرهم فقد اثبتوا النظر ونقضوا الأصل الذى بنوا عليه مذهبهم وقد احتبس هذا الرأى صنفان من هذه الأُمّة مقلّد مبطل النظر ومدّعى أن لا دليل على النافى فلزمهما من ذلك ما لزم أصحاب العنود وقيل لهم أَبنظرٍ وحجّةٍ أفسدتم نظر العقول وحُججها أَم بغير حجّة فإن قالوا بنظر فكيف يبطلون النظر وهم يثبتونه وإن زعموا بغير نظر فالسؤال والجواب من النظر ولا يلقى به من ليس من اهل النظر وكلّ كلام من غير نظر فجحود أو عنود أو سهو أو غلط أو عَبَث وبمثله يقابل الزاعم أن لا دليل على النافى ثمّ نفيتَ الدليل مع أنّك مع نفيك ما نفيته أحد المدعيين اذ انت لو عارضك خصمك بمثل قولك وابطل دعواك ثم إذا طالبتَه بتصحيح مذهبه أحال على مذهبك فهل غير اثبات الدعوَيْين

أو اسقـاطها ولنظّـار أهل الإسلام وفقهائهم حجاجٌ كثيرة فى
هذا الباب وليس هذا من غرض هذا الكتـاب ومما يستـدلّ
بـه على وجوب النظر انّـه لمّـا لم تكُنْ الأشياء كلّها موجودة
حقّاً ولا كلّها باطلة حقّاً ولكن حقّاً وباطلاً ثم وجد الاختلاف
فيهـا شائعاً على النظّار إمّا من عالِم مُعانـدٍ او جاهلٍ عاجزٍ ولم
يكن الأخذ بـه على اختلافـه وجب عليه بالنظر الـذى يميّز
بين الحقّ والبـاطـل وأيضاً لمّـا لم تكن الأشياء كلّها ظـاهرةً
لأنّها لو ظهرت لَمـا جُهل شئٌ ولا كانت خفيّـة لأنّها لو
خفيت كلّها لَمـا عُلم شئٌ وكان منها ظاهرٌ جلىٌّ وبـاطن خفىٌّ
وجب طلب علم ما خفى منها ولا يوجد ذلك إلّا بالنظر،

القـول فى مـراتب النظر وحدوده، أقـول أنّ العلماءَ الـذين
وطّأوا للنُظّار سبيل النظر ومهّدوا لهم سبيل الجدل أضربوا
فى ذلـك حدّاً من تعدّاه او قصّر دونـه تبيّن تنكّبُه[1] وتعسّفُه
وخلل مذهبه وفساد بيّنتـه فجعلوا السؤال أربعة أقسام لا يقع
فيها صدق ولا كذب لأنّها استخبار عن مائيّـة[2] المـذهب

[1] Ms. ىبتّن ىنكبه.

[2] Ms. ماىّة.

اوّلًا ثم عن الدليل ثم عن العلّة ثم عن تصحيح العلّة
وذلك نهاية فصول النظر واستقرار صحّة الدعوى وفسادها
وقابلوا أقسام السؤال بعددها من الجواب وكلّها أخبار تحتمل
الصدق والكذب لأنّ الصدق الإخبار عن الشئ بما فيه
والكذب الإخبار عنه بما ليس فيه والسؤال ليس بإخبار
فيحتمل الصدق والكذب وانّما يوجب السؤال أحد الشَيْئَيْن
إمّا الجهل به وإمّا امتحان المسئول عنه والجواب يوجب القبول
والتسليم والردّ والإنكار بمعارضة او مطالبة بالدليل والدليل
يوجب العلّة والعلّة تحقّق الجواب إذا طردت صحّت وحيثما
انتهى الخصم وسلّم انتهى الكلام ،

[f° 11 v°] القول فى علامات الانقطاع ، أقول المناقضة
والانتقال والعجز عن بلوغ الغاية وجُحد الضرورة ودفع
المشاهدة والاستعانة بالغير والسكوت للعجز كلّها من دلائل
الانقطاع وكلّ سائل مخيَّرٌ فى سؤاله متفقهًا كان
[أو] متعنّتًا أحقّ فى سؤاله او أحال وليست كذلك حال
المجيب بل عليه القصد للحقّ وتعريف السائل وجه سؤال
من إصابة وإحالة ولا عليه أن يجيبه عن مسئلة هى فرعٌ

لمسئلةٍ يخالفه فيها حتّى يقرّره بإيجابها وتأخذ ميثاقه
على القول بها لأنّ الخلاف اذا كان واقعًا فى الأصل لم يطّرد
القياس فى الفرع وذلك فى التمثيل كسائلٍ عن الرسالة
منكر للتوحيد وإنّما تصحّ النبوّة بصحّة التوحيد لأنّه الموجبُ
لها وكلّ سؤال يرجع الى السائل بمثل ما يريد أن يلزمه المسئول
فغير لازم لأنّ المعارضة فيه قائمة فطلبُ الدليل على الدليل
والعلّة على العلّة إلى ما لا نهاية له فاسدٌ لأنّ محصول
الظواهر المحسوس ومحصول البواطن المعقول وما لا نهاية له
غير موجود ولا معلوم ولا موهوم وقد يُستحسن لابن الهذيل
قوله إنّ صحّة الصحيح وانتقاض المنقوض فى جميع ما
اختلف فيه المختلفون يُعلَم فى ثلاثه أوْجه أحدهما إجراء[1]
العلّة فى المعلول والثانى نقض العلّة بالتفسير والثالث
جحد الاضطرار فامّا ترك إجراء[1] العلّة فى المعلول فكقول
الرجل فرسى هذا جواد فيقال ولِمَ قلت ذلك قال لأنّى
أجريته كذا فرسخًا فيقال له أكلّ فرسٍ جرى فى اليوم
كذا فرسخًا فهو جواد فإن قال نعم أجرى علّته وان

[1] Ms. les deux fois, اجزاء.

قال لا فقد نقضها وهو يحتاج الى علّة أخرى وأمّا نقض
الجملة بالتفسير فكقول القائل إذا اشتدّ حرّ الصيفة
اشتدّ[1] برد الشتوة التى تليها واذا اشتدّ برد الشتوة اشتدّ حرّ
الصيفة الّتى تليها ثم يقول وقد يشتدّ حرّ الصيف ولا
يشتدّ برد الشتآء الذى يليه فيكون قد نقض بهذا التفسير
الجُملةَ الّتى تقدّمت لأنّها لو صحّت لم يشتدّ حرّ الصيف إلّا
باشتداد برد الشتآء أبدًا وأمّا جحد الاضطرار ففى البدائه
والحواسّ وذلك كسؤالنا الدهرية عن شيخ رأيناه على كرسيٍّ
فى هيئته وخضابه أيزعمون أنّه لم يزل هكذا قاعدًا
فى مكانه بحاله التى هو عليها من الكسوة والخضاب
فان قالوا نعم جحدوا الاضطرار بشهادة العقول بابطالهم ،
واعلم أنّ السكوت بعد استقرار الحقّ أبلغ من الكلام فى
الذبّ عنه وزيادة البيان هُجنة وربّما أورثت فرصة لأنّ
الإفراط نقص وعلم بفلج[2] الحجّة ودحوصها[3] أبلغ من افصاحك

[1] Ms. واشتد.

[2] Ms. نفلج.

[3] Ms. ودحوضها.

بها لأنّ الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كلّ
من لزمه قول مناظره او عجز عن جوابه فى الوقت وجب عليه
المصير الى مذهب خصمه ولكن بعد التبيّن والتثبيت
واستبراء الحال والرجوع إلى الأُصول الموطودة والأَعلام المنصوبه
فإذا انكشف الغطاء عن وجهه وصرّح المحض عن زبده
وأومض الحقّ سيره فلا يسع حينئذٍ غير الاقرار والانقياد له
وليس من الحقّ تكليف الخصم إظهار ما هو خفىّ فى نفسه
لانّه غير ممكن كما يمكنه اخفآء ما هو ظاهر فى نفسه ولانّ
ذلك [fº 12 rº] إزالة الشئ عن وجهه فهذه مقدّمات
قدّمناها نظرًا للناظر فى كتابنا ونُصحًا لمن احتاط لدينه
وتحرّز من تمويه الملحدين وتلبيس المخرقين وخطرات المجانّ
ووساوس الخلعآء الذين أفسد الفراغ فكرهم وأخمدت الكفاية
قرائحهم وحلّت عن الدقائق عقولهم وعاشت بصنوف الشهوات
نفوسهم وملكهم الهزل وركبهم الجهل واسترقّهم الباطل
وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقع النظر فاحتالوا فى
إسقاط التكليف عنهم ليمرحوا فى ميادين الشهوات وليركبوا
ما يَهْوونه من اللذّات بانكار علوم الأُصول من البديهة

والحواسّ واللّـه المستعان وهو خيرٌ معينٌ، وبعـد فـإنّ لأهل الإسلام أُصولًا من الكتـاب والسُنّـة والاجماع والقيـاس عليها مـا يقوم لهم الحجّة بها بينهم ويقنعون بشهادتها ودلائلها وكذلـك أهل كلّ ملّة ودين وكتاب غير أنّ ذلـك لتصحيح فروع دينهم وشرائـع ملّتهم فلـذلـك أضربنـا عن ذكره صفحًا ☼

الفصل الثانى

فى اثبات البارئ وتوحيد الصانع بـالـدلائل البرهانيّـة والحجج الإضطراريّـة

أقول أنّ الـدلائـل الّتى تـدلّ على اثبات اللّه عزّ وجلّ غير محصاة ولا متناهية فى أوهام الخلائق لأنّها بعدد أجزآء أعيان الموجودات من الحيوان والنبـات وغير ذلـك ممّا خفى من الأبصار لأنّـه مـا من شَئْ وإن صغُر جسمه ولطُف شخصه إلّا وفيـه عـدّة دلائـل تعبّر عن ربوبيّتـه وتصرّح عن إلاهيّتـه تصريحًا ينتفى مع أدنـاها الشبهة ويُزاح العلّة وإلى هذا المعنى نظر بعض المحدّثين وفى كلّ شئ لـه آيةٌ تـدلّ على أنـه واحد ولن يجوز غير مـا قُلْنا لأنّه لما كان هو خالق الخلق وصانع الصُنع ومخترع الأعيان ومُخرجها من العدم الى الوجود لم نخلُ من آثـار خلقـه واختراعه فهى الدلائـل المقترنـة بها الشاهدة على صانعها ومُنشئها فمن الدليل على اثبات البارئ سبحانه

وتعالى أنّـه خـلافٌ بين الأوائـل والأواخر إنّ الأرض منها عامر مسكون معلوم وعامر مسكون غير معلوم وخراب مجهول غير مسكون وان عظم المسكون المعلوم منها العرب وفـارس والـروم والهند وهم ذوو[1] الآداب والاخـلاق من سائر أهل الأرض لهم السِيَر والسُنَن والآيين والحِكمة والهمّة والنظر والخصال المحمودة والعلوم المأثورة من الطبّ والتنجيم والحساب والخطّ والهندسة والفراسة والكهانـة والأديـان والكتب وغير ذلـك ممّا يستعملونها فى معاملاتهم وموضوعـاتهم ومـا سواهم رَعـاعٌ وهمجٌ سافلوا الرتبـة عن رتب من قـدّمنـا ذكرهم ونـاقصوا الحظّ من حظوظهم إمّـا بهيمىّ الطبع فى قلّـة التمييز والفطنـة وإمّـا سَبُعيّـة فى الجفوة والغِلْظة حتّى أنّ منهم مَنْ ينزو بعضهم على بعض ومنهم من يـأكل بعضهم بعضاً لعلـل قـد ذكرها القدماء ليس هذا موضع شرحها بقول الله سبحانـه وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[2] ثمّ إنّ هذه الأُمم[3] المحمودة أخلاقهم مع اختلاف أصنافهم وافتراق ديارهم وتفـاوت آرائهم فى المذاهب

[1] Ms. ذو.

[2] *Qor.*, ch. XVI, v. 8.

[3] Ms. الأُمّة.

ألّتى ابتجلوا والأديـان [f° 12 v°] الّتى اعتقـدوا لم يختلفوا فى
وجود آثـار الصانع الحكيم فى هذا العالم وما يشاهدونـه فى
أجزائـه وأبعاضِه واختلاف طباعه وتعاقب أعراضه فـاذا صحّ
وجود البـارئ الأزلىّ القـديم الاوّل السابق ببـدائـه العقول
وشهادة النفوس واضطرار الفطرة والجاء الخلقة بـذلـك بنى
تـأسيسهم وعليه بنى تركيبهم إلّا مَنْ شذَّ مِنْ جاهل أو جاحد
مؤوف فى نفسه أو مغلوب على عقله إذ غير مفهوم ولا موهوم
أثر من غير مؤثر ولا صُنع من غير صانـع ولا حركـة من غير
محرّك كما يجحد الضرورة وجود كتاب بلا كاتب وبناء بلا بانٍ
وصورةٍ بلا مصوّر فسبحانَ مَنْ لا انتهآء لـه إذ لا ابتدآء لـه
منـه البدايـة وإليه النهايـة مُبدع القوى وممدّ الموادّ وسابق
العلل ومنشئ البسائط ومركّب العناصر وحافظ النظـام ومدبر
الأفلاك ومحدث الزمان والمكان ومحيل الأركان الحكيم
العَدْل القائم بالقسط الناظر للخلق البرئ من المعائب الغنىّ عن
اجتلاب المنافع مدبّر الأُمور ومدهّر الدهور أرخى على الأوهام
ستـور ربـوبيّتـه وضرب على مطالع العـقـول حُجب إلاهيّتـه
فليس يُعْرَف إلّا بما عرّف بـه الخلق نفسه ولا يُـدرك أحدٌ

من صفاتــه كنهة الأبصارُ عن بــدائع صنعه خاسئةٌ والبصائرُ
عن ملاحظتها نــابئةٌ والقلوب فى آثــار الدلائـل عليه حائرة
والنفوس مع حيرة القلوب إليه والهة والعقول عنــد محافظــة
الاشراف عليه مضمحلّــة متلاشية معبود فى كلّ زمان معروف
بكلّ لسان مذكور بكلّ اللغات موصوف بتضادّ الصفات ليس
كمثلــه شئٌ. وهو السميع البصير نحمده على ما هدانــا ولــدينه
اجتبانــا ونشهد ان لا الــه إلّا اللّــه نتميزّ بــه عن المشركين
ونتزيّــل عــدد الجاحدين ونشهد ان محمّــدًا عبــده ورسولــه
أرسله بالهدى ودين الحقّ غير حادس ولا ساحر ولا كاهن ولا
شاعر ولا محتال ولا متنبٍّ كذّاب ولا مريد دنيا ولا قــائــل
بــالهوى فــأبلغ وأدّى وانــذر وأَهدى وصدع بــأمر اللّــه
حتى أتــاه اليقين فصلوات اللّــه على روحه غــاديــةً وبردات[1]
رحمتــه مترادفــة على آلــه اجمعين ، هذا التحميد الــذى وجب
أن نصدّر بــه كتابنا أخّرنــاه الى حيث قدّرنــا انــه أَولى بــه
وأَليق ، ومن الدليل على اثبات البارئ سبحانــه وَلَــهُ النفوس
وفزعُ القلوب إذا حزبت الحوادث إليــه اضطرارًا إذْ لا يوجد

[1] Lisez بركات ?

مضطرّ وقد عضّتْهُ نائبة ولدغته ناكبة يفزع الى حجر أو شجر أو مدد أو شئ من الخلائق الّا اليه ويدعوه بما هو معروف عنده من اسم او صفة هذا مشاهد عيانًا كما تفزع النفس عند المكاره المخوفة إلى طلب المهرب والنجاة وكما يفزع الطفل الى ثدى أمّه ضرورةً وخلقةً كذاك الله فى معرفة خلقه إياه لأنّ أثر الدلالة فى الخلق عليه أعظم من أثر الطبع إلى ما لا يلائمه وينافره ولا يمكن الملحد المنكر وان غلا وتعمّق فى الإلحاد الامتناع[1] فى معرفة اللّه واجرآء ذكره واسمه على لسانه شاءَ أَمْ أبى فى حال عمده ونسيانه لأنّ قلبه ولسانه على ذلك الخُلق كما أنّ طبعه على الميل الى المحبوب والازورار عن المكروه جُبِلَ [f° 13 r°] ومن الدليل على اثبات البارئ جلّ وعزّ أنّه لا يخلو لسان أُمّةٍ من الأُمم فى أقطار الأرض وآفاقها إلّا وهم يسمّونه بخواصّ من أسمائه عندهم ومستحيل وجود اسم لا مسمّى له كاستحالة وجود دليل على غير مدلول عليه بل المدلول موجب لدليل كذلك المسمّى موجب الاسم وما هو فى التمثيل إلّا بمنزلة

[1] Ms. والامتناع.

الحامل والعرض المحمول فكما يستحيل وجود عرض إلّا فى جوهر كذلك يستحيل وجود اسم إلّا لمسمًّى فمن ذلك قول العرب له اللّه مفردا من غير أن يشاركوه فى هذا الاسم بأحد من معبوداتهم لانّه خاص لهم عندهم وكانوا يُطلقون على غيره على التنكير وامّا الربّ بالتعريف والرحمن فلم يكونوا يجيزونه إلّا لله تعالى وانّما تسمّى[1] مسيلمة الكذاب بالرحمٰن مضادّةً لله جلّ وعزّ ومعاندةً لرسوله عليه السلٰم ذلك مشهور مستفيض فى قوافى أوائلهم قبل قيام الإسلام فمن ذلك قول بعضهم فى الجاهليّة [طويل]

أَلَا ضَرَبَتْ تِلْكَ ٱلْفَتَاةُ هَجِينَهَا   أَلَا قَطَعَ ٱلرَّحْمٰنُ مِنْهَا يَمِينَهَا

فأضاف فعل القطع الى الرحمٰن لأنّه أراد به الدعاء وعلم أنّه لا يجيب الدعآء إلّا الله وقول أُميّة بن ابى الصلت [بسيط]

وَٱلْحَيَّةُ ٱلْحَتْفَةُ ٱلرَّقْشَآءُ أَخرجها   مِنْ جُحرِهَا آمِنَاتُ ٱللّٰهِ وَٱلْقَسَمُ

إِذَا دَعَا بِٱسْمِهِ ٱلْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ   ذَاتَ ٱلْإِلٰهِ يُرَى فِى سَعْيِهَا زَرَمُ

[1] Ms. ستمى.

وإنّما أتينا بهذا البيت حجّةً لإثبات اسم الإلاهيّة لا لرُقْيَة الحيّة وقول زيد بن عمرو، [طويل]

إِلَى ٱللّهِ أُهْدِى مِدْحَتِى وَثنايايا[1] وَقَوْلًا رَصِينًا لابنى الدهر باقيا

إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلأَعْلَى ٱلّذى ليس فوقَهُ إلٰهٌ ولا ربٌّ سواه مُدانيا

وقول فارس هرمز وايزد ويزدان ويزعمون أنّ عبادتهم النار يقرب إلى البارئ عزّ وجلّ لأنّها أقوى الإسطقسات وأعظم الأركان كما قال مشركوا العرب فى عبادتهم الأوثان ما نعبدهم الّا ليقرّبونا الى الله زُلْفَى ولا يجوز أن يكون غير هذا حالة مں يعبد شَيْئًا من دون اللّه لأنّه يعلم أنّ معبوده من خشب أو حجر أو نحاس أو ذهب أو شئ من الجواهر غير خالقه ولا صانعه ولا مدّبر أمره ولا محوّله ولقد دخلتُ بيت نار خُوزَ وهى كورة من كور فارس قديمة البناء وسألتهم عن ذكر البارئ فى كتابهم فأخرجوا إلىَّ صُحفًا زعموا أنّها الابسطآ وهو الكتاب الذى جاءهم به زردشت فقرءوا علىَّ بلسانهم وفسّروه علىَّ بفهومهم الفارسيّة

[1] Ms. ثنايايا.

فيكمازهم بهسته هرمز وبشتاسبندان فكمازهم رستخيز قالوا
وهرمز هو البارئ بلسانهم وبشتاسبندان الملائكة ومعنى
رستخيز فَنِي فَقُمْ وقول الأعاجم بلسان الدريّة خداى
وخداوند وخدايكان وقد سمعتُ غيرَ واحدٍ قال فى تأويله
خذست وخوذبوذ منعاهأنّه هو بذاته لم يكوّنه مكوّنٌ
ولا يُحدثه مُحْدِثٌ وقول الهند والسند شيتاوابت ومهاديو
وأسمآء كثيرة غير هذه يصفونه بخواصّ افعاله [f° 13 v°] وقول
الزنوج ملكوى وجَلوِى قالوا معناه الربّ الاعظم وقول
التُرك بير تنكرى يعنون الربّ واحد وزعم بعضهم أن تنكرى
اسم لخضرة السمآء فإن كان كما ذكروا فإنّهم قد امنوا
بالمعنى المطلوب من الإلهيّة وانّما شكّوا فى الصفة وقال
بعضهم تنكرى هو السمآء واسم البارئ عندهم بالغ بايات
معناه الغنى الاعظم وقول الروم والقبط والحبشة وما يدانيها
من البُلدان بالسُريانيّة لأنّ عامّتهم نصارى لاها ربا قدّوسا
ولا فرقَ بين السُريانيّة والعربيّة إلّا فى أحرُف يسيرة فكأنّ
السريانيّة سلخت من العربيّة والعربية سلخت من السريانيّة
وقول اليهود بالعبرانيّة ايلوهيم ادناى اهيا شراهيا

ومعنى ايلوهيم اللّـه واوّل[1] التـوريـة برشيت بـارا ايلوهيم يقول اوّل شئ خلقه اللّـه هـذا الـذى عليـه معظم الأمم والأجيال من أهل الكتاب وغيرهم فـامّـا أقـاطيع الناس فى مجاهيـل الأقـاليم فمن يحيط بلغاتهم إلّا الـذى خلقهم وقسم بينهم ألسنتهم وسمعتُ قومًـا من برجان يسمونـه ادفوا فسألتهم عن اسم الصنم فقـالوا فع وسألت القبط من صعيـد مصر عن اسم البارئ بلغتهم فزعموا احد شنق كذا ظنّى واللّـه أعلم ،

ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانـه هذا العالم بما فيه من عجيب النظم وبديع الترتيب ومحكم الصنع ولطيف التـدبير والاتّساق والاتقان فلا يخلو من ثلثة أوجه إمّـا انّـه لم يزل كما هو وإمّا انّـه لم يكن فـكان بنفسه وإمّا انّـه كوّنـه مكوّنٌ هو غيره فلمّا استحال ان يكون قـديمًا لم يزل لمقارنة الحوادث إيّـاها وإن لم يخلُ من حادث فحادث مثله واستحال ان يكوّن الشئ نفسَه لاستحالـة الكائن أن يبقى نفسه فكيف يجوز توهّم المعدوم من أن يتركّب فيصير عالمًا لم يبـقَ غير الوجه الثالث وهو أنّ كوّنـه مكوّنٌ هو غيره غير معدوم ولا محـدث وهو

[1] Ms. répété deux fois.

البارئ جلّ جلالـه واعلم ان البارئ عزّ وجلّ ليس بمحسوس فيحصره الحواسّ ولا معلوم بالإحاطة فيدرك كيفيّته وكميّته وأينيّته ولا مقيّس بنظير لـه أو شبيه فيُعلم بـأكثر الظنّ والحزر ولا موهوم بصورة من الصُوَر لكنّه معروف بدلائـل افعالـه وآيات آثاره موجود فى العقول لا غير ولا تُوجَدُ آثاره وافعالـه إلّا فى خَلْقه ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانـه تفاضل الخلق فى الـدرجات والطباع والهمم والإرادات والصُوَر والأخلاق وتمايز الأشخاص والأنواع من أجنـاس الحيوان والنبـات فلو انها مكونـة[1] بالطبـاع لاستوت أحوالها وتـكافـأت أسبـابهـا وكانت تكون فى انفسها مختـارة ولما يُوجَد فيها ناقص ولا عاجز ولا مذموم ولا متـأخّر عن درجة صاحبه فلمّـا وجدنا الامر بخلافـه علمنا أنّ مدبّرًا دبّره ومرتّبًا رتّبه وهو البارئ سبحانه، وقـد قلنـا فى صدر هذه المقـالـة ان عدد الدلائـل عليـه تعالى وتقـدّس غير محصاة ولا متقصّاة لأنّـك لو عمدتَ الى أصغر شخصٍ من أشخاص الحيوان وأعملتَ فكركـ فى تعداد مـا يوجدكـ من آثـار صُنع الصانـع فيـه لـرجعت حسيرًا عَيِيـًّا

[1] Ms. مكوّن.

وأعجزتْك حُجج البارئ جلّ وعز وحيّرتْك آثار صُنعه وذلك
فى المثل كناظر فى بَعُوضةٍ أو نملةٍ [f° 14 r°] أو ذُباب كيف بنى
البارئ جلّ وعزّ جسمه فى لطفه وصغر أجزائه وكيف أطلق له
القوائم والأجنحة وكيف ركّب فيه من الأعضآء ما لو فُرِّقَتْ
لما كان الطَرْف يدركها ولا الوهم يمسّها ولا الحاسّة تحدها وكيف
ركّب فيه من الطبائع ما تمّ به قوام أركانه واستوآء نظامه
وكيف أودعه معرفة ما فيه صلاحه من طلب منافعه واجتناب
مضارّه وكيف سلك فى جوفه مداخل غذائه ومنافذ طعامه
مع خفّة جسمه وقلّة ذاته وكيف حمل عليه الأعراض وصبغه
بألوان الصِبْغ وكيف ركّب الحركة والسكون والاجتماع
والافتراق والصوت والصورة وكيف ركّب فيه العين بل كيف
ركّب فى عينه البصر هذا فى صغار هوامّ ما يتولّد وإن كان
طبع الزمان علّةً لبعثه وإثارته فانه لم يتركب هذا
التركيب العجيب والنضيد الأنيق إلّا من تدبير قادر
حكيم وكذلك لو نظر الى أدون نبت من النبات وما جُمِع
فيه من اختلاف ألوانه من نَوْره وورقه وفرقه وجذعه
وعرقه واختلاف طعوم أجزائه ورائحتها ومنافعها ومضارّها

لدلّ ذلك على تدبير قادر حكيم وكيف لو رجع الى نفسه
فنظر الى كمال صورته وحسن هيئته[1] واعتدال بنيته مع ما
خُصّ به من الحكمة والعلم والفطنة والبحث والفكرة
بلطيف الأمور وجليلها وحذقه بأنواع الصناعات وحسن
اهتدائه اليها وخبرته بالأمور الغامضة واستيلائه على جميع
الحيوان بفضل عقله وزيادة فطنته ثم هو مع ما وصفناه به من
الكمال والتمام مبنى[2] على الضعف والحاجة إلى ما صغير ما فى
العالم وكبيره مضمن بالنَصَب والتعب عاجز عن دفع ما يحلّ به
من الآفات جاهل بأسباب كونه وتصرّفه فى نشوه
ونمائه وزيادته ونقصانه محتاج الى ما يقيمه ويعينه لدلّه
ذلك على تدبير قادر حكيم وكذلك إذا نظر إلى هذا
العالم وما يرى فيه من شواهد التدبير وآثار التركيب فى الهيئة
والشكل والصُوَر مع اتّصال بعضه فى بعض وحاجة بعضه إلى
بعض من اعتقاب الحرّ والبرد واختلاف الليل والنهار واتّفاق
الأركان وتقاومها على تضادّها وتباينها علم أنّه من تدبير

[1] Ms. هيأته.

[2] Ms. مبنىُ.

قادر حكيم ولو جاز لمتوهّم ان يتوهّم حدوث هذا العالم من
غير محدث لجاز لغيره أن يتوهّم وجود بناء من غير بانٍ وكتابةٍ
من غير كاتب ونقش من غير نقّاش وصورةٍ من غير مصوّر
ولساغ له إذا نظر الى قصر مشيّد وبناء وثيق أن يظنّ أنّه
انساب إلى كومة من الترب مجتمعة لم يجمعها جامعٌ فاختلط
بها من غير خالط حتّى التفّت ونديت ثم انسبكت لبنًا على
اكمل التقدير وآانق التربيع من غير سابق ولا ضارب ثم
تأسّس أساس القصر وتمكنت قواعده وارتفعت ساقاته
وأعراقه حتّى إذا تطاولت حيطانه وتكاملت اركانه
وتطايرت اللبن وتراكمت على حواشيها وتناضدت أحسن التراكم
والتناضد ثم تساقطت الجذوع والجوائز من أشجارها على قدر
البيوت والخطط والمحتطّة للأبنية بلا حاصد لها ولا عاضد ثم
انتجرت بلا ناجر [f° 14 v°] وانتشرت بلا ناشر واسفنت بلا
سافن فلما تهيّأ منه الكمال واستقام المائل ترفّعت بأنفسها
فانغرزت فى مغارزها وتسقفت فوق بيوتها وفاقت أساطينها
تحتها ثم انطبقت عليها صفائحها وانتصبت أبوابها فانغلقت
بذاتها ثم تكلّس القصر وتسيّع وتبلّط وتجصّص وتنقّش بأنواع

التزاويق والنقوش واستوى أمره وشاد بناؤه واجتمع متفرّقه على أحسن التقدير وأكمل التدبير حتّى لا تعرّى منه ناحية ولا لبنة ولا قصبة إلّا ومفهوم للناظر إليه موضع الحكمة والحاجة إليه من غير فاعل فعله ولا صانع صنعه ولا ساعٍ سعى فيه ولا مدبّر دبّره وكذلك[1] لو نظر الى سفينة مشحونة موقَّرة بألوان الحمولات وأصناف السِلَع راكدة فى لُجّة البحر او سائرة انها تركّبت ألواحها وأعضادها وتسمّرت مساميرها ودُسُرها وانضمّت حتّى اسفنت بذاتها ثم نقلت الحمولة إلى نفسها حتَّى امتلأَت ثم ركدت فى الماء فسافرت عند الحاجة وكذلك لو نظر الى ثوب منسوج او ديباج منقوش انه انحلج قطنه وخلص قزّه ثم انغزل وانفتل وانصبغ والتأمت الوشائع[2] وامتدّت الاشراع والتفّت الى منوالها وانضمّت الخيوط بعضها الى بعض فانتسج وانتقش فاذا لم يُجزْ هذا المتوهّم فكيف يتوهّمه على هذا العالم العجيب النظم الباهر التركيب فان ذهبَ ذاهبٌ إلى الفرق بين تركيب العالم وتركيب

[1] Ms. وذلك.

[2] Ms. الوسائغ.

ما يركّبه الإنسان بأنّ العادة لم تجوّز بابتناء الدور وانتساج
الأثواب وانصباغ الأوانى ولم يوجد مثل ذلك فى الامتحان
والطبائع قيل فكيف جوّزتم ما هو أعجب ممّا ذكرنا واعظم
من غير فاعل مختار ولا حكيم قادر فإن زعم أنَّ تركيبَ
هذا العالم على هذا النظم ولتركيب[1] من فعل الطبائع فالطبائع
إذًا احيآء قادرة حكيمة عالمة ولم يبقَ بيننا وبينه من الخلاف
الى تحويل الاسم وتغيير الصفة وإن انكر حياة الطبيعة
وحكمتها وقدرتها فكيف يجوز وجود فعل محكم متّقن من غير
حكيم حيٍّ قادر فإن زعم بالحدّ والاتّفاق على هذا الاتّساق
غيرُ موهوم وإنّما وقوعه فى النوادر ولوجاز ذلك لجاز أن من
له ساحة ولا بنآء فيها ولا عمارة يتّفق اتّفاق ليلة فتُصبح
مبنيّةً دورًا مغروسة اشجارًا على احسن الابنية واعجب التركيب
ولا محيص للملحد من حجج الله وآياته فكيف وهو حجّة
بنفسه ولغيره وليس نورد من هذا الباب هاهنا الّا ما يضاهى
الفصل وما يصحّ ويجلّ دون ما يغمض ويدقّ لانّ من عزمنا
أن نبالغ فى الاستقصآء والإيضاح لهذه المسائل فى كتاب

[1] Ms. والتى بت.

سمّيناه بالديانــة والامانــة شكرًا لمن أنعم علينا بالتوحيد ومناضلةً
عن الدين وتبصّرًا للمستبصرين ومن عند الله التوفيق ، واعلم
انّــه لوجاز أَنْ يُوجَد شىءٌ من الأَجسام لا من خلق اللّه لجاز
أَن يوجَد عاريًا من دلالــة عليه فــإذا لم يوجد الّا من خلقه لم
يخلُ من دلالــة عليــه فــإن قيــل وكيف يعلم أَنَّــه مصنوع
مخلوق قيل بــآثار الحدث فيه فــإن قيل فما آثار الحدث قيل
الأعراض الّتى لا تعرى الجواهر منها من الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون واللون والطعم والرائحة وغير ذلــك فــإن
انكر الأعراض وحدوثها كُلّم بما ذكرناه فى موضعه [f° 15 r°] من
الفصل الأوّل فبحدوث الأعــراض يصحّ حــدوث الأجسام
وبحـدوث الأجسام يصح وجود المحدث البــارئ لها سبحانــه
ولقد قرأْتُ فى بعض كتب القدمآء ان ملكا من ملوكهم سأَل
حكيمًا من الحكمآء ما أدلُّ الأُمور على الله فقال له الدلائل
كثيرة وأوّلها مسئلتك[1] عنه لأنّ السؤال لا يقع على لا شىء
قــال الملــك ثم مــا ذا قــال شكّ الشاكّين فيه فــانّما
يُشكّ فيما هو لا فيما لا هو قــال الملك ثم ما ذا قــال ولــه

[1] Ms. مَسْالتك.

الفطن[1] اليه الذى لا يستطيع الامتناع منه قال الملك زدنى قال حدوث الأشيآء وتنقّلها على غير مشيّتها قال زدنى قال الحياة والموت الّذان يسمّيهما الفلاسفة النشؤ والبِلَى فلست واجدًا احدًا أحيا نفسه ولا حيًّا الّا كارهًا للموت ولن ينل[2] منهم يعنى لا ينجو قال زدنى قال الثواب والعقاب على الحسنة والسيئة الجاريان على ألسنة الناس قال زدنى قال أَجِدُ مزيدًا، وجآء فى الأخبار ان بنى اسرائيل اختلفوا فى هذا الباب ففزعوا الى عالم فسألوه بِمَ عرفت البارئ قال بفسخ العزم ونقض الهمّة وكُتُبُ الله المنزّلة مملوءة بدلائل الاثبات والتوحيد تأكيدًا للحجّة لأنّه موضوع فى نفس الفطرة وخاصّةً القرآن وقال الله لرسوله حيث سُئِل عن الدلالة عليه إنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمٰوَات والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلْك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السمآء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب ٱلْمسخَّر

[1] Ms. الفطر.

[2] Ms. سل.

بين السمآء والارض لآياتٍ لقومٍ يعقلون[1] فدلّ على نفسه بخواص أفعاله ومعجزات آثاره التى لا سعى لغيره فى شىء منها وقال ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ثُمَّ جعلناه نطفةً فى قرارٍ مكين[2] الى قوله فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلخَالِقِينَ[3] هل ترى أحدًا يدّعى فعل شىْ من ذلك وقال أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ والأَرض وأَنزَلَ لكم مِنَ السَّماء مَاءً فانبتنا به حدائقَ ذاتَ بَهْجةٍ ما كان لكم أَنَ تُنْبِتُوا شَجَرها أَإِلَهٌ مع ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قومٌ يَعدِلُون، أَمَّنْ جعلَ الأَرضَ قَرارًا وجعلَ خِلالَها أَنْهارًا وجعل لها رواسِىَ وجعل بَيْنَ البحرَيْنِ حاجزًا أَإِلَهٌ مع اللَّه[4] الى آخر الآى الخمس وقوله أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحنُ ٱلْخَالِقُونَ[5]، دلّهم على نفسه بصُنعه بإِعجازهم فى آخر الآيات فلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِين تَرجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[6] وتكلّف غير ما

[1] *Qor.*, sour. II, v. 159.

[2] *Qor.*, XXIII, v. 12-13.

[3] *Ibid.*, v. 14.

[4] *Qor.*, XXVII, v. 61 et suiv.

[5] *Qor.*, sour. LVI, v. 58-59.

[6] *Ibid.*, v. 85-86.

فى كتاب الله فضل لانّه معرض ممكن لمن تدبّره وتأمّله وقال وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ[1] انكم توجدوها ولم تحدثوها ولستم تملكون شيأ من أمرها من الصحّة والسقم والشباب وقال سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ[2] يعنى بما ضمّنها من آثار الصنع وشواهد التدبير ودلائل الحدث ورُوينا فى حديث أنّ رجلًا سأل محمّد بن علىّ او ابنه جعفر بن محمّد يا أبن رسول الله هل رأيت ربّك حين عبدته فقال ماكنتُ لا أعبدُ ربًّا لم أَرَه فقال الرجل وكيف رَأَيته قال لم[3] تَرَه العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك بالحواسّ ولا يقاس بالقياس[4] معروف بالدلالات موصوف بالصفات له الخلق والأمر يُعزّ بالحقّ ويُذلّ [f° 15 v°] بالعدل وهو على كلّ شَيْءٍ قدير وسُئِل علىّ بن الحسين رضى الله عنهما متى كان ربّك قال ومتى لم يكن ربّنا وحكى عن بعض

[1] *Qor.*, LI, v. 21.

[2] *Qor.*, XLI, v. 53.

[3] Ms. ألم.

[4] Ms. بالناس.

الحكماء أنّه كان يقصّر[1] الناس على هذا القدر من التوحيد ولم يرخص لهم الخوض فى اكثر منه فيقول التوحيد أربعة أشياء معرفة الوحدانيّة والإقرار بالربوبيّة وإخلاص الالهيّة والاجتهاد فى العبوديّة وكانت حكماء العرب فى كفرها وجاهليّتها يُشيرون اليه فى أشعارهم ويمدحونه بآلآئه ونعمائه فمن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل [طويل]

وَأَنْتَ الّذى من فضل منٍّ ورحمةٍ ... بعثْتَ الى مُوسَى رسولًا مناديا

فقلتَ له فَاْذهب وهارونَ فادعو ... إلى الله فرعون اْلّذى كان طاغيا

وَقُولا له أَأَنت سمكتَ هذهَ ... بلا عَمَدٍ حتى اْستقرّت كما هيا

وقُولا له أَأَنت سَوَيْتَ هذه ... بلا وَتَدٍ حتى اْسقرّت كما هيا

وقُولا له مَنْ يُرسِل الشمس غُدوةً ... فتصبح ما مسّت من الأرض صاحيا

وقُولا له من ينبت الحىّ والثرى ... فتصبح منه البقل يهتزّ راسيا

وكان يقول [متقارب]

وأَسْلَمتُ وجهى لمن اسلمَتْ ... له الارض يحمل صخرًا ثقالا

[1] Ms. يقصير.

دحاها فلمّا رآها اْستوَتْ   على المآء أرسى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهى لمن اسلمَتْ   له المُزنُ تحمل عذبا زلالا

إذا هى سُوقت الى بلـدةٍ   اطاعت فصبَّت عليها سجالا

فجعل يصفـه بالصفـات الّتى يَعجز عنها المخلوقون معرفـةً منـه بـاستحالـة فعـل لا من فـاعل وأذكـرُ أنّى سألتُ بعض الأَعاجم بنواحى سنجار على نواحى المُزاح والمهازلـة إذْ كنت أراه جلف الجثّـة ثقيل اللهجة ما الدليل على أنّ لـك خالقًا قـال عجزى عن خلق نفسى فـكانّما أُلقمتُ حجرًا وما شبّهتُـه إلّا بخبر عامر بن عبد قيس إذ خرج عليه عثمان بن عفّان رضى الله عنه وهو فى شملّـة اشعث اغبر فى زىّ الأعاريب فـقـال أين ربّـك يا اعرابى قـال بالمرصاد فهال ذلـك عثمان فـارعد لـه ومن ذلـك قـول صرمـة بن انس بن قيس قـبـل الإسلام [خفيف]

ولـه الراهبُ الحبيس تراه   رَهن يُونُسٍ وكان ناعم بال

ولـه هوَّدت يهودٌ وكانت   كلّ دين وكلّ أمر عُضال

وله شمّس النصارى وقاموا   كلّ عيدٍ لهم وكلّ احتفال

ولـه الوَحْشُ فى الجبال تراه   فى حِقاف وفى ظِلال الرمال

[fº 16 rº] يعنى أنّ من مخافتـه هُوِّدت اليهود وحبست الرهبان أنفسها فى الصوامع ومن دلائلـه عرفت الوحوش منـافعهـا ومناكحها وليست بـذات عقـول مميزّة وإنّما يعرفـه كلّ واحد بمقـدار فهمه وكيفيّـة استـدلالـه وانشدنى النهريبنـدى فى جامع البصرة [طويل]

وَلَوْ حلَّ اقطارَ السماوات عاقلٌ   أو احتَلّ فى أقْصى بلادٍ تُباعِدُ

ولم يرَ مخلوقًا يدُلّ على هُدًى   ولم يَأْتِهِ وَحْىٌ من الله قـاصِدُ

ولم يرَ إلّا نفسَهُ كان خَلْقُها   دليلًا على بـارٍ لـه لا يُعانِدُ

دليلًا على إبـداعها وٱختراعها   مُنيرًا على مرّ الدهور يُشاهِدُ

وفى هذا المقدار مقنَعٌ وبـلاغ لمن نَاصَح نفسَه وأَعطى النَصفـة وجانب الجحود والعنود ومن لم يجعل اللـه لـه نورًا فما لـه من نورٍ واذا صحّ اثبات البارى ووجود الصانع فلننقُـل الآن فى صفـاتـه

القـول فى جواب من يقـول من هو ومـا هو وكيف هو

أَقول ان السؤال عن المائيّــة والمنيّــة والهويّــة محالٌ من وجه
التفتيش عن ذاتــه لأَنّ الإشارة الى هذه الاشياء تصوّرها فى
الوهم ولا يتصوّر فى الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه
من صفات الحدث فـإمّا أن اراد السؤال عن إثباتــه واثبات
صفاتــه فـلا وذلـك كقائـل يزعم انــه قد ثبت عندى وجود
البـارئ سبحانــه فما هو فـالجواب الصواب انــه هو الاوّل
والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتّى يُعدُّ جميع أسمآئــه
وصفـاتــه فـإن زعم انــه سأل عن هويّــة ذاتــه قيـل غير
محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فـإن زعم
ان هذا من صفاتــه اللَاشيَّةِ والبطلان فهذا من وساوس الجهل
وهذيان الخطل ويكلّم فى ايجاب الصنعةِ الصانعَ والفعلِ الفاعلَ
بما قد سبق ذكره فـان طلب نظيرًا أو شبيهًا بهذه الصفات
فهذا يكلّفنا ان نتّخذ إِلٰهَيْن [1] اثنين محسوسًا وغير محسوس ثمّ
نشبّــه الغـائب بالشاهد ليتحقّقــه وما من إِلـٰهٍ إِلّا إِلـٰهٌ واحدٌ
وليس يجب علم مــا تيقّنّاه لجهل مــا جهلنا أَلا ترى أنّا اذا
آنَسْنـا شخصًا فى السواد ولم نعلم مــا هو ومن هو لم يجب ان

[1] Ms. الاهين.

نُبطِل علمنا فى ذات الشّخص بما خفى علينا من بعض هيئاته
كذلك لمّا قامت الدلالة ان يستحيل وجود فعل لا من
فاعل ثم وجدنا فعلًا لم نشاهد فاعله لم يجب ان نُبطل علمنا
البديهىّ بجهلنا وقد سُئل رسول الله صلعم عن هويّته فنزل
الجواب فى صفاته قُلْ هُوَ الله أحد أَللّٰهُ أَلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفوًا أحد [1] فأخبر انّه أحد لا كأحدٍ
وصَمَد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعنى الملائكة وسائر الناس
من الخلائق الروحانيّين بقوله ولم يكن له كفوًا أحد
فنفى النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلم فيما رُوِىَ
لرجل من الاعراب سأله عنه هو الذى اذا مسّك ضرٌّ
فدعوتَه أجابك واذا اصابتك سنةٌ فدعوتَه امطر السحاب
وانبت النبات [fº 16 vº] واذا ضلّتْ راحلتُك بفلاةٍ من
الارض فدعوتَه ردّها اليك فجعل يدلّ على ربّه بدلالة
فعله وشهادة الكتاب تُغْنِى [2] عن طلب الأَسانيد لمثل هذه
الاخبار بقول اللّه تعالى امّن يجيب المضطرّ اذا دعاه ويكشف

[1] *Qor.*, sour. CXII.

[2] Ms. يغنى.

السوٓ[1] وفى روايـة المَقْبرىّ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلعم [قال] انّ الشيطان يأتى أحدكم فلا يزال يقول له مَنْ خَلَقَ هذا فتقول اللّه حتّى يقول فمن خلق اللّهَ فـاذا سمعتم ذلـك فـافزعوا الى سورة الإخلاص فـقـال ابو هريرة رضى الله عنه فبينا انا قـاعد إذ أتانى آتٍ فـقـال مَن خلق السمآء فقلت اللّه قال فمن خلق الأرض قلتُ الله قال فمن خلق الخلق قلتُ الله قال فمن خلق الله فقُمْتُ وقلت صدقَ رسول اللّه صلعم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كـفوًا احد ولهذا نهى عن التفكّر فيـه إذ لا مَطْلَع للوهم والفـكـر عليـه من طلب ما لا سبيل اليـه رجع باحد الامرَيْن إمّا شاكًّا وإمّا جاحدًا والجحـود والشكّ فيـه كُـفْر

وقد قيل تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق لأنّ الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرَك ولا أَعلمُ أحدًا من أصناف الخلـق والأُمم إلّا وهو مُقِرّ بوجود شئ فى الغـائب خـلاف الحاضر فمن ذلـك قول الفلاسفة الهيولى وانـه خلاف الاجرام العُلويّـة والسُّفْليّـة ومنهم من يقول بحىّ ناطق لايجوز عليـه

[1] *Qor.*, sour. XXVII, v. 63.

الموت وهو لم يشاهده حيًّا ناطقًا إلّا ميتًا ومنهم من قال بأنّ جوهرَ الافلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد شيأً من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ طول النهار بها اربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها ستّة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأنّ النطفة تنقلب علقةً والعلقة تنقلب مُضغةً ولم يشاهدها عيانًا ومن قال بأرض لا يتركب منها حيوان ولانبات ومن قال من الثنويّة بنور خالص فى الغائب وظلمة خالصة غير مماسَّيْن ولا ممتزجَيْن وهو لم يشاهد جسمًا إلّا مؤلّفًا مركّبًا فى أشْباهٍ لهذا يطول الكلام بذكرها حتّى تعلم ان قول القائل لا شئ غير ما يعاينه[1] ولا شئ غاب عنه الّا كما يشاهده محال باطل وبعدُ فانّا نجدُ الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والفَرَح والحُزْن واللذّة والكراهية والحبّ والبُغض وغير ذلك من كثير من الاعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون ولا عَرْضٍ ولا ريح ولا طعم او صفة من الصفات ثمّ لم يجب ابطالها لعدم صفاتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

[1] Ms. يعاينه.

والنـوم لا شكّ أنّهـا اشيـآء ثـابتـة ولها ذوات قـائمـة من
الاعراض ثم لا يُحاط بكميتها ولا بكيفيتها غير وجودها فـاذا
كانت هذه الاشيآء قُربها منّـا وتمكّنها فينا ونعجز عن الاحاطة
بها ولم يجز انـكارها لوجوهها وكيف بمُبْدِعها ومُنْشئها ومُقيمها
على مراتبها وكلّ صانع لا شكّ أعْلى رتبةً من مصنوعاتـه وأرفع
درجةً فـان قـال قـائـل سَوَّيْتَ بين صفـات العقل والروح
والنفس وسائر ما ذكرت وبين البـارئ الـذى يـدعونـا
اليـه وتساوى الصفـات يـوجب تساوى الموصوفـات فما ينكر
ممّن يزعم انـه هو النفس أو العقـل لا من النـاس من يقـول
هو نفس [fº 17 rº] الخلائق ومنهم من يقول هو عقولهم قيـل
انّمـا يجب تساوى الموصوفـات إذا تساوت حدود الصفـات
فـأمّا الألفاظ فمشتركـة والمعانى مختلفـة ألا ترى انّـا نقول
لـه هو ولغيره هو ونقـول هو واحد ولغيره ممّا يتميّز من
الأعداد واحد ونقول ذاتـه ولغيره من الحيـوان والنبات
ذواتها ونقول قال الله وفعل الله فقال فلان وفعل فلان لأنّ
الألفاظ سِمَاتٌ للمعانى لا يمكن العبارة الّا بها فـاذا جِئْنـا الى
التفصيل قلنا فِعْلُ الإِنسان بجارحةٍ وفِعْله ليس بجارحة وفِعْل

الانسان بـآلـةٍ وفِعْله ليس بـآلـةٍ وفعل الانسان فى زمان ومكان وفعل اللّـه قبـل الزمـان والمكان فهَلْ بقى بين الفعلَيْن من التشابُـه غير سمة اللفظ وهكـذا سائر الأوصاف

ثمّ من الدلائل على أنّ البارئ جلّ جلاله ليس بالنفس ولا بـالعقل ولا بـالروح كما ذهب اليه من ذهب ان الأنفس متجزّئـة قد فرّقت بينها الهياكل والاشخاص والتجزّئ تفرّقٌ والتفرُّق عارض ولا متفرّق الّا ومتوهّم تجمّعه والتجمّع عارض وقـد يعيش عائش ويموت مـائت ولا يخلُو[1] من ان تبطُل نفسٌ بموت صاحبهـا أو ترجع الى كلّيتها او تنتقـل الى غيره والبطلان والرجوع كلّها اعراض وقـد أوَضْحنا الدلالـة على حدث الاعـراض وهكذا القـول فى الأرواح على السوآء وكـذلـك تفـاوُت العقول واختـلافها ومـا يَعرِضُ فيها من الخلل والنقص والسهو والغلط كلّها من دليل الحدث ومـا العقل فى قصور المعرفة إلّا بمنزلة سَمْع الأُذن وبصر العين وشمّ الأَنف كلّها موجودة غير معلومة الكيفيّـة والكمّيـة فـان قيـل أَلَـهُ هُويّـة وإن لم نعلمها قيـل الهويّـه إضافـة هو الى

[1] Ms. يحلى.

معناه[1] وهو اشارة فامّا معنى الهويّة فالذات واى لعمرى له ذات عالمة سميعة بصيرة قادرة حيّة غير معلومة كيفيّتها فإن قيل فهو عالم بذاته قيل له ليس هو غير ذاته فتكون معلومة له غير علمه ويكون له من ذاته علم ومعلوم وقد قال قوم انه هو الطبائع ومنه حَدَثُ العالم وتركّبه فالطبائع أشيآء متنافرة متضادّة مقهورة مجبورة وهذه هى علامات الحدث ثمّ هى غير حيّة ولا عالمة ولا مختارة ولا قادرة فيصحّ منها هذه الافعال المحكمة المُتْقَنَة فان أطلقوا عليها هذه الصفات فهى البارئ بزعمهم وإنّما غلطوا فى التسمية وإن أَبَوْا فى الفعل لا يصحّ إلّا ممّن هذه صفاتُه   واختلف أهل الإسلام فى اشيآء من هذا الباب فأنكر كثير منهم القول بالأَيْنيّة والمائيّة ولا يخلوان من أن يكونا اياه أو غيره أو بعضه فإن كانا غيره أو بعضه انتقض التوحيد وان كانا ايّاه فهو اذًا أشيآء كثيرة وقال ضرار بن عمرو وابو حنيفة رضى اللّه عنهما له أَينيّة ومائيّة لانّه لا يكون شئ موجود إلّا وله أينيّة ومائيّة وعلّة الأينية غير علّة

[1] Corr. marg., ms. معناها.

المائيّـة وذلـك انـك تسمع الصوت فتعلم أنّ لـه مُصوّتًـا وتجهل ما هو ثمّ تراه بعد ذلـك فتعلم ما هو فعِلْمُك مـا هو غير علمك بأينيّتـه ومعنى المائيّـة عنـدهما انـه يعلم نفسه بـالمشاهدة لا بـدليل كما نعلمه واختلـف المُشبّهة فزعمت النصارى انـه جوهر قديم وزعم هشام بن الحكم وابو جعفر الأحول الملقّب بشيطان الطاق انـه جسم محدود متناهٍ وقـال هشام هو جسم مُصْمَتٌ لـه قـدر من الاقـدار من العَرْض كأنّـه [fº 17 vº] سبيكة تلألأ كالدُرّة من جميع اطرافها واحدة ليس بمجوّف ولا متخلخل وحُكي عن مُقاتل انـه قـال على صورة إنسان لحمٍ ودمٍ وسُئل هشام كيف معبودُك فـأوقد سراجًا وقـال هكذا إلّا أنّه لا ذُبالة لـه وقـال قومٌ جسم فضآء مكان الاشيآء كلّها واكبر من كلّ شئ وقـال قومٌ هو الشمس بعينها وزعم قومٌ انّـه المسيح وقـال قومٌ هو على بن ابى طالب وذهب قومٌ إلى اشيآء كثيرة متبعّضة مختلفة القُوَى والفعـل إلّا انّ بعضهـا مُتّصل ببعض وبعضهـا أعلى من بعض فـأعلاها البارئ سبحانـه ويزعمون انـه لا جسم لـه ولا صفة ولا يُعرف ولا يُعلم ولا يجوز أن يُـذْكَر ودونـه العقـل

ودون العقل النفس ودون النفس الهيولى ودون الهيولى الأثير ثم الطبائع ويرون كلّ حركة او قُوّة حسّاسة أَو نَامية منه وسيمرّ بك النقض عليهم مجملًا فى باب التوحيد ان شاء اللّه وأحسنُ ما أختاره فى هذا الفصلْ أَلَّا يخوض الإنسان فى شئ منه إلّا باثبات الذات بدلائل الصفات فامّا ما سِوَى ذلك فيسكت عنه وليقتَدِ نبىّ اللّه موسى حيثُ قال له الكافر

ومـا ربّ العالمين قـال ربّ السموات والأرض ومـا بينهما ان كنتم مُوقنين[1] هذا طريق السلامة فإن سأل بعضُ مَنْ لا يعلم كيف هو وأين هو وكم هو فإنّ كيف يوجب التشبيه ولا شبه له وكم استخبار عن العدد وهو واحد واين طلب المكان وليس بجسم فيُشغِل الأماكن ،

القول فى أنّ البارئ واحد لا غير أقولُ أنّه لما صحّ وجود البارئ بالدلائل العقليّة وجب ان يُنظر أَواحدٌ هو أم أَكثر لأنّ الفعل قد يفعله الواحد والاثنان وقد يشترك الجماعة فى بناءدار ورفع منار ونظرنا فاذا الدلائل على وحدانيّته بإذآء الدلائل على إثباته وذلك أنّه

[1] *Qor.*, sour. XXVI, v. 22-23.

لـو كانا اثنَيْن لم يخلُ من أن يكونا متساوِيَيْن فى القوّة والقُدرة والعِلم والإرادة والقِدَم والمشيَّة حتّى لا يُفْرق بينهما بصفةٍ من الصفات فإن كانا كذلك فهذه صفة الواحد لا يثبت فى العُقول غيره أَو يكون احدُهما أَقْدم من الآخر وأَقدر فَالْإِلَـهُ إذًا القديمُ القادر إِذ العاجز الحادث لا يستحقّ الإلهيّة أو يكونا معًا مُتقاومَيْن مُتضادَّيْن فاذَنْ لا يجوز وجود خَلْقٍ ولا أمرٍ لأنّه لو كانا كذلك لم يخلُقْ أَحدُهما خَلْقًا إلّا أَفناه الآخر ولم يُحْيِ حيًّا إلّا أماته الآخر فلمّا وجدنا الامر بخلافه علمنا أنّه واحد قدير وهذا ضِمْنُ قول الله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ[1] وقال قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَٱبْتَغَوْا إِلَى ذِى ٱلْعَرْشِ سُبُلًا[2] ولو كانا اثنين لكانا قادرَيْن على التمانع والتقاوم أَو عاجزَيْن عن ذلك فإن كانا قادرَيْن لم يتّصل تدبير ولم يتمّ وجود خَلْق وإنْ كانا عاجزَيْن فوجود الخَلْق عن العاجز

[1] *Qor.*, sour. XXI, v. 22.

[2] *Qor.*, sour. XVII, v. 44. Lisez سبيلًا.

مُحالٌ أوكان أحدهما عاجزًا والآخر قادرًا فهو كما قلناه آنِفًا
ولو جاز القول باثنين لوجود الشئ وضدّه لجاز القول بعدد
اعيان الموجودات لاختلاف أجناسها وأنواعها وانّها تمام القُدرة
جوازها على الشئ وضدّه ففاعل الشئ اذا كان عاجزًا عن
ضدّه غير كامل القُدرة والبارئ عزّ وجلّ دلّ على كمال قُدرته
بإيجاد الشئ وضدّه ومن هاهنا تفرّقت المجوس والثنويّة
والدَهْرية وسائر فِرَق الضلالة فزعمت المجوس بأنّ فاعل
الخير لا يفعل الشرّ وأنّ الشرّير لا يفعل الخير لأنّ الجنس
الواحد لا يَقَعُ منه إلّا الفعل الواحد كالنّار لا يكون منها إلّا
التسخين والثلج لا يكون منه إلّا التبريد [fo 18 ro] فسمّوا الإله
الخير هرمز والشرّير الخبيث آهرمَن وأضافوا كلّ حُسْنٍ وجميل
وفعل حميد الى الخير[1] وكلّ قبيح وذميم الى الشرّير الخبيث
المضادّ له ثمّ اختلفوا بعد إجماعهم على انّ الخير منهما قديم
لم يزل وزعم بعضهم ان الشرّير قديم أيضًا كقول الثنويّة
بقدم الكونين من النور والظلمة وزعمت طائفةٌ أُخرى انّه
حادث ثم اختلف الذين قالوا بحدوث الشرير الخبيث كيف

[1] Ms. الحيّر.

كان حدوثه فزعمت فرقة منهم أنّ القديم الخير تفكّر
فكرةً ردئة فاسدة فحدث من فكرته هذا الخبيث الشرير
وهذا نقض أصلهم بأنّ جوهر القديم جوهرٌ خير لا يشوبه
شئٌ من الشرور والآفات وزعم آخرون أنّ الخير هفا هَفْوةً
فحدث منه هذا الضدّ بلا إرادةٍ منه ولا مشيّة فجعلوا الخير كالمغود
الجاهل الذى لا يملك نفسه وأمره وقد أقرّ هذان الصنفان
بوقوع الشرّ من الخير المحمود ووجود جنسَيْن مختلفَيْن منه
فما حاجتهما الى إثبات فاعلَيْن مختلفَيْن فإذا جاز وقوع الشرّ
من هذا الخير المحمود فما يؤمنهم وقوع الخير من هذا الشرّير
المذموم وزعمت فرقة ثالثة منهم انه لا يدرى كيف
حدث هذا الشرير المنازع[1] للخير القديم فافصحوا بالحَيْرة
ونادَوْا على انفسهم بالشبهة وبِمَ ينفصلون ممّن يعارضهم إذا
جاز حدوث شرير فاعل للشرّ لِمَ لَمْ يجُزْ حدوث خير فاعل
للخير حتّى يكون خالقهم اثنين حادثَيْن وقد زعموا جميعاً أنّ هذا
الشرير كايدَ الخير ونازعه الأمر وجمع الخير جنوده من
النور والشرير جنوده من أبعاض الظلمة فاقتتلا مدّةً من

[1] Ms. والمنازع.

الدهر طويلة ثم توسّطت الملائكة بينهما ودعَوْهما الى
الهُدْنة والموادعة الى ان يضع بينهما مدّة سبعة آلاف سنة وهى
مدّة قوام العالم فاصطلحا على أنْ يكون أكثر الأَمر والحكم
والغلبة فى هذه المدّة المضروبة للجوهر الشِرّير فإذا انقضت
المدّة افضى الأمر الى القديم الخير فأخذ الشرير يستوثق منه
إلى أن ينقضى عالم الشرّ والفتنة والفساد ويصير الحكم الى
الخير المحض وهذا ظاهر الانتقاض والاختلاف وكيف
تطمئنّ النفس الى عبادة عاجز مغلوب على أمر وكيف يؤمن
الشرير الخبيث على الوفآء بالعهود والمواثيق وهل هى منه
الّا أفضل الخير واتمّ الاحسان فقد وُجد من جوهره الخير
وهو من غير جنسه كما وُجد من جوهر الخير العجز والغلبة وهو
شرّ وليس من جنسه واختلفت الثنويّة فزعم مانى وابن
ابى العوجآء انّ النور خالق الخير والظلمة خالق الشرّ وأنّهما
قديمان حيّان حسّاسان وأنّ فعلهما فى الخلق اجتماعهما وامتزاجهما
بعد أن لم يكونا ممتزجَيْن فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج
فأقرّا بحادث حدث فى القديم من غير سبب أَوجبه ولا إرادة
منه فضاهيا المجوس فى قولهم أنّ الخير حدث منه الشرّ بلا

إرادة منه ولا مشيَّة وزعم ديصان ان النور حيٌّ والظلمة
مواتٌ فأحال أشدّ الإحالة إذْ أجاز من الموات الفعل فى
خلق الشرور والآفات فناقضوا بأجمعهم فى نفس الامتزاج
لانّه لو كان بدأبه النور فقد أسآء فى مخالطة الظلام
وان كان بدوه من الظلام فقد غلب النور وأفسده وعندهم
أن النور لا يكون منه الّا الخير والظلمة لا يكون منها[1] الّا الشرّ
فكلّ خير منسوب الى النور وكلّ شرّ منسوب الى الظلمة
واكتفى من جوابهم بما يومض عن مناقضاتهم كفآء ما
يشاكل [f° 18 v°] كتابنا هذا بعد أن نستقصيه فى كتاب
المعدلة ونُشبع القول فيه بمشيَّة اللّه وقد سألهم جعفر بن
حَرْب عن مسئلة قليلة الحروف عظيمة الخطَر فقال لهم
أَخبرونا عن رجُل قتل رجلًا ظُلمًا فسُئل أقتلتَهُ قال
نعم من القائل نعم قالوا النور قال فقد كذب النور
والنور عندكم لا يفعل الشرّ قالوا فهو الظلمة قال فقد صدقت
والظلمة لا تفعل الخير وقال هل اعتذر أحدٌ من شىء قطّ
قالوا نعم والاعتذار حَسَن جميل قال فمن المُعتذر قالوا

[1] Ms. منه.

النور قال فصنع شيأً يجب الاعتذار منه قالوا فالظلمة
قال فقد احسنَتْ اذا اعتذرَتْ فقطعهم   واستعظم قومُ
القول بايجاد أعيان لا من سابق فقالوا بقدم البارئ وشئ
قديم معه أمّ الأشياء وآخر الهويّات ومادّة العالم والأصل
الذى حدثت منه الأجسام والاشخاص فانّه جوهر بسيط
عارٍ من الأعراض ثم احدث الصانع فيه أعراضًا من الحركة
والسكون والاجتماع والافتراق فتركّب من حركاته العالم بأجزآئه
فهولآء قد أوجبوا شيأَيْن قديمين مختلفين الى الذات والصفة
احدهما حىّ والآخر ميت ودخلوا فى مذاهب الثنويّة وناقضوا
أصلهم بأنّ البارئ لم يزل يصنع فيه فابطلوا قولهم بأنّه علّة
والعلّة لا تفارق المعلول وجملة القول فى الاعتقاد فى المعدوم
والموجود أنّ الموجود ما يُعقل أو يعلم أو يحسّ أو يُعرف أو
يصحّ منه تأثير أو فيه أو معه أو به فاذا خلا من هذه المعانى
فهو المعدوم ولولا ذلك لكان كيف يعتقد المعتقد المعدوم من
الموجود فان قيل فقد اعتقدتم القديم أفعدم هو وانتم
لا تصفونه بشئ من الحدوث والأعراض قيل افتُسوُّونَ انتم
بينه وبين الهيولى فى المعنى أم لا وانتم لا تصفونها بشئ من

الحدود والأعراض ونحن انّما نعتقد وجود البارئ بدلائل صُنعه وآثاره وليس يصحّ الهيولى اثر ويوجب اعتقاده موجودًا بل لو وصفتموه بافعال خاصيَّة وجب اعتقاده وسنزيد ايضاحًا لهذه المسئلة فى فصل ابتدآء الخلق ان شاء الـلّـه تعالى ،

القول بابطال التشبيه اقول أنّ التشبيه يوجب الاتفاق فى الحكم والمعنى على قدر المواقع من الاشتباه وذلك يزعم أن حدّ الجسم انه طويل عريض عميق يلزمه ان يقتضى على كلّ ذى طولٍ وعرضٍ وعُمقٍ بالتجسيم لأنّ الاشتباه بينهما واقع فى جميع الوجوه فاذا قال جسم لا كالاجسام وأراد أن يبطل الحدود المضروبة فيه فكأنّه يقول جسم لا جسم ويلزمه أن يحكم على كلّ ذى طول بحدّ من حدود الجسم لأنّه من حيث استحقّ بعض أوصافه استحقّ الحكومة به كما أنّه إذا حدّ العرض بأنه لا يقوم بنفسه لزمه القول بأنّ كلَّ ما لا يقوم بنفسه فهو عرض فان قيل أَليس قلتم انه شئ لا كالاشيآء فما تنكرون من يقول انه جسم لا كالاجسام أو له وجهٌ لا كالوجوه وجارحة لا كالجوارح فإنّ الشئ اسم عامّ

للموجود والمعدوم والقديم والمُحْدَث وحدُّه ما قد ذكرناه فى موضعه فاذا سمع السامع به لم يذهب به الى جسم دون عرض ولا الى قديم دون مُحدَث حتى يفرق به الى التفسير ما يدلّ [fº 19 rº] على المراد فاذا سمع بالجسم لم يعقل منه الّا المؤلّف المركّب فلذلك لم يجُزْ إطلاق اسمآء المُحْدَثات عليه لأنّ استوآءَ أحكام المِثلين من حيث تماثلا وإلى هذا المعنى ذهب الناشى فى قوله [بسيط]

لو كان للّهِ شِبْهٌ من خليقته كانت دلائله من خَلْقه فيه

قد كان مُقتضياً من نشو صانعه ما يقتضى النشو من آثار ناشيه

لكنّه جلّ عن أوهام واصفه فالحس يُعدِمُه والعَقْلُ يُبْدِيه

الفصل الثالث

فى صفاتـه واسمآئـه وكيف يجب أن يُعْتَقَد القول والفعل منه سبحانـه

أقول أنّـه إذا ثبت وجود البارئ عزّ وجلّ وثبتت وحدانيّتـه بـالدلائـل التى قـامت وجب أنْ يُنظر فى صفاتـه وما يليق بـه أن يضاف اليه ويُعرَف بـه فنظرنـا فـاذا من صفاتـه خاصّ وعامّ فـالخاصّ مـا لا يجوز ان يُـوصَفَ بضدّه كالحيـاة والعلم والقدرة ولا أن يوصف بـالقـدرة عليها ألا ترى انّـه لا يصحّ القول بـأنّـه يقدر ان يحيا او يقدر ان يعلم او يقدر ان يقدر ولا القول بأنّه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا يقدر على كذا لأن ما كان موصوفًا بنفسه ثمّ وُصِفَ بضدّها كان الضدّ راجعًا الى نفسه ولا تستقيم الالهيّـة بغير حياة وقـدرة وعلم وهذه تسمّى صفات الـذات والعامّ مـا يجوز ان يُوصَف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإرادة والرزق والخلق والرحمة
وهى صفات الفعل وللمسلمين ومن قبلهم فى هذا الفصل تشاجر
كثير واختلاف يدعو الى ضلال مَنْ خالف صاحبه فى
ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر
وانما ينبغى ان ينسب كلّ عدل ورحمة وفضل وَجُودٍ إليه بمعرفة
القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أنّ صفات الله أقوال
وكنايات وهى كلّها من قول القائلين ووصف الواصفين
وقال قومٌ لا معنى لصفات الفعل وانّما المعنى لصفات الذات
والصفة ما قامت فى الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يُوجَد
الموصوف مع عدمها قالوا فلَمْ يزل اللّه خالقًا بارئًا رازقًا
مريدًا متكلّمًا رحيمًا حتى أَتَوْا على آخر صفاته وفرّق ناس
منهم بين الوصف والصفة فجعلوا الصفة ما يلاصق الموصوف
كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات
الله غير مخلوقة لأنّه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو
واحد بصفاته كلّها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره
واحتجّوا بأنّها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة وَلَدُعِى
فقيل يا عِلْم يا قُدرة يا سمع يا بصر ولمّا قام بذاته

كما أنّ الصفات لا تقوم بانفسها ولا هى غيره لأنّ حدّ
المتغايرَيْن جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [f° 19 v°] فلو كان
علمه وقدرته وسمعه وبصره غيره لجاز عدم العلم والقدرة
وغيرها مع وجود البارئ فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هى
بعضه لأنّ التبعيض من دلائل الحدث واللّه لا يُوصف
بالابعاض والأجزآء وقالت المعتزلة فى صفات الذات
انّها ليست من غير الذات شيأً فذات البارئ عالمة حكيمة
قادرة سميعة بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سميع بذاته
بصير بذاته وانّما الصفات ما وَصف اللّه به نفسَهُ أو وصفه
العبادُ بها قالوا ولا يجوز ان يكون علمه وقدرته هو ولا غيره
لانّها لو كانت هو لكان اشيآء كثيرة مختلفةً ولعُبِدَتْ
ودُعِيَتْ فلو كانت غيره لكانت قدمآء كثيرة وإن لم يزل
مع البارئ وإن كانت محدثة فكان قبل احداث العلم غير
عالم وقبل احداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات
فثبت أنّ ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة
بها يقدر ولم يخلُ من أن يكون هى هو أو غيره وقالوا
لا فَصْل بين من زعم انه هو أو غيره او بعضه قالوا وقول

القائل لا هو هو نفيٌ وقوله لا غيره رجوع عن ذلك
النفى واثبات له فهولاء يزعمون أنّه لو كان له علم لكان
معه غيره ومخالفوهم يزعمون ان لو لم يكن له علم لكان
جاهلًا قالوا وهو موصوف بالقِدَم والقدرة والعلم فلو كان
عالمًا بنفسه قديمًا لما جاز أن يُوصَف بنفسه كما لا يُصَوَّر
المصوَّرُ بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم
بنفسه وانّما يشتم المشتوم بشتم ويصوّر المصوّر بصورة فصحّ أنّه
موصوف بصفات والصفات يشتقّ منها الأسامى فالقديم من
القِدَم والقدير من القدرة والعالم من العلم كما أنّ الحمرة
للأحمر والصُفْرة صفة للأصفر ثم هُوَلَا هِيَ ولا غيرها قالوا
ولو لم يشاهد عالمًا الا بعلم ولا قادرًا الّا بقدرة فكذلك
ما غاب عنّا فقال لهم مخالفوهم أليس الحُمرة والصُفرة
عَرضان فى الأحمر والأصفر أو ليس العالم منّا بعلم علمه عارض
فيه فهل[1] الى تمثيل البارئ بجسم ذى عرض وبِمَ ينفصلون
ممّن يزعم انه جسم أو عَرض لوجود الفعل منه لأنّه لا يظهر
الفعل فيما يشاهده إلّا من جسم حدَثٍ فهل يجب علينا القضاء

[1] Lacune. Ms. كذا فى الاصل.

بأنّه جسم ذو أعراض وأبعاض إذا لم نشاهد الفعل إلّا من
جسم ذى أعراض وأبعاض كذلك لا يجب القضآء بأنّه
عالم بعلم اذا لم نشاهد عالمًا إلّا بعلم فإن قيل إذا أجزْتَ عالمًا
لا يعلم فأَجِزْ جسمًا لا بصفات الجسم قيل لو لزم ذا
للزمك هو بعينه فى إجازتك عالمًا بعلم لا هو ولا غيره ولا
بعضه وأمّا قولهم ان المصوّر لا يصوّر بنفسه والمكتوب
لا يُكتَبُ بنفسه وانّما يصوّر بصورة ويكتب بكتابة
والصورة والكتابة لا شكّ غيرهما وقولهم من الصفات يشتقّ
الأسامى فالصفات هى الأسامى بعينها ليست أنّها اشيآء كامنة
فيه كالأعراض فى الجواهر ولكنّه إذا أبدى فعلًا من افعاله
تسمّى به او سمّاه العباد به والكلام يطول فى هذا ويمتدّ
ومتى اعمل الناظر فكره فى هذا المقدار [f° 20 r°] تبيّن له
وجه الصواب بحول الله وقوّته

القول فى الأسامى اقول أن اختلافهم فى الأسامى كاختلافهم فى
الصفات وعامّة المعتزلة على أنّ الأسامى هى الصفات وأنّ الاسم
غير المسمّى وهو قول المسمِّى وحدّ الاسم ما دلّ على المعنى وقالت
فرقة أنّ الاسم والمسمّى واحدٌ واحتجّوا بقوله تعالى سَبِّح اَسْمَ

رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بعبادة غيره
وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فدلّ على
أنّ اسم الله هو الله وقال اذْكُرُوا ٱللَّهَ ثمّ قال فى موضع
وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأنّ الاسم لو كان
المسمّى لكان اذا غُيِّرَ تَغَيَّرَ المسمّى واذا أُحْرِق أو خُرِّق أو غُرِّق
أثّر ذلك كلّه فى المسمّى وكلّ مسمًّى سابق اسمه وجائز
تبدّل الاسم عليه والاسماء مختلفة كثيرة والمسمّى واحد غير
مختلف وقد قال اللّه عزّ وجلّ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى
فَٱدْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يُدْعَى وهو غيره لا شكّ
وأجمعت الأُمّة أنّه غير جائز أن يقال له يا حَسَن على
أن يكون حُسْنه فى ذاته وانّما يُوصف بحسن القول والفعل
وقد أخبر أنّ له اسماء حسنة فى غاية الحُسن ونهايته
فعُقِل أنّه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف
ولا يجوز اطلاق شئ من ذلك على البارئ سبحانه وتعالى
واسماؤه تختلف باختلاف اللُغات فكما أنّ لغة الفرس
هى غير لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله
تعالى وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك الاختلاف شائع فيه لا شكّ اللهمّ إلّا أن ينكر أن لا يكون له غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأنّه غير ممكن ذكر شئ إلّا باسمه ثمّ قوله سبّح للّه واذكروا الله واذكر ربّك على ما يتعارفه الناس انّ الشئ اذا لم يكن ذكرًا فى نفسه لم يكن ذكره إلّا باسمه وقول القائل اللّه معلوم انّه اسم عربىّ لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأنّ الله عربىّ او عجمىّ فإن قال قائل اذا كان الاسمآء والصفات من أقوال العباد وكناياتهم فلَمْ يكن له اسم ولا صفة قبل الخلق وكان عُطلًا غفلًا الى أن سمّاه العباد قيل قد قلنا أنّ صفاته على وجهَيْن صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات الذات لم يزل بها موصوفًا وان لم يصفه بها واصفه كما أنّه لم يزل واحدًا فردًا وان لم يكن خلق يوحّده وعالمًا وان لم يكن المعلوم موجودًا وقادرًا وقديمًا فامّا القول بأنّه لم يزل مَدْعُوًّا أو معبودًا أو مشكورًا فالشاكر والعابد والداعى

ليسوا لم يزالوا وكذلك القول بأنّه لم يزل خالقًا رازقًا
يقتضى ازليّة المخلوق والمرزوق اللهم إلّا على جهة القدرة على
الخلق والرزق فانه يستقيم له ذلك وكذلك لو
قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيُبْصِر وسَيَسْمَع وأجمع
المسلمون أنّ الله حىّ قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم
حكيم متكلّم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضّل
غنىّ واختلفوا فى تفصيل هذه الصفات وعِلَلها فزعمت طائفة
أنّه عالم لأنّ له علمًا وزعم آخرون أنّه عالم بذاته لأنّه
يدرك الاشياءَ كما هى وقد تقدّم حُجج[1] الفريقين مجملًا
وكذلك قولهم فى القِدَم والقدرة فمن ابى[2] القول بأنّ
حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَم وقُدرة قال حدّ القديم
الموجود لا إلى أوّل وحدّ القادر الذى لا يمتنع الفعل عليه
باختياره وأجمع هولاء انه موجود [f° 20 v°] بعينه وذاته ولا
يُوجد لأنّه لو كان موجودًا بوجود لم يخلُ ذلك الوجود مِنْ
أنْ يكون موجودًا او ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

[1] Ms. حجاج.

[2] Ms. الى.

دخل فى بـاب العَدَم وإن كان موجودًا فقد وجب أن يُوجد
بوجود آخر إلى ما لا نهايـة والقول بما ليس لـه نهايـة يؤدّى
الى قول اهل الـدهر وقـالت طائفـة أنـه حىٌّ بحياة
عالمٌ بعلم وزعم آخرون أنّ معنى الحىّ وجود الافعال منه على
اتّفاق واتّساق واختلفوا فى ذاتـه ألها نهايـة أم لا فقال
اكثرهم أنـه غير متناهٍ لانّـه لا بجسم ولا عرض ولا حدّ له
فيقتضى النهايـة وهو مبدع النهايـات والحدود وزعم هشام بن
حكم انّـه متناهٍ وكذلـك يلزم كلّ مجسّم وقـد قـال
اصحاب القضآء انّـه غير متنـاهى الـذات واختلفوا أذاتـه
مرئيّـة أم غير مرئيّـة فمن قـال بـالتشبيه او راى الـرُؤيـة
العلم قـال هو مرئىّ كما هو موجود معلوم ومن ابى ذلـك
قـال غير مرئىّ كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف
فى التوفيق بين الرُؤيـة والعلم واللمس والتفريق بينهما
واختلفوا فى الكلام فمن قـال هو من صفات الـذات قـال
غير مُحدَث ولا مخلوق لأنّ الله لم يزل متكلّمًا بكلام لا هو هو
ولا هو غيره ولا بعضه ومن قـال من صفات الفعل قـال هو
مُحدَث لأنّ الكلام يقتضى متكلّمًا واختلفوا فى الإرادة

بحسب اختلافهم فى الكلام واختلفوا فى المكان فقال اكثرهم
انه بكلّ مكان حافظًا مدبّرًا وعالمًا وقادرًا وليست ذاته بجسم
فيشغل الاماكن ولا بعرض فيحلّ الاجسام ومن كان بهذه الصفة
فغير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشبّهة انه
فى كلّ مكان ذو مكان وذلك مُطّردٌ على أصله لما يراه جسمًا
وقال قوم انه فى السمآء فوق العرش بذاته بلا نهاية
لاكون الشئ على الشئ بالمماسّة والاظلال وزعم ابن
كُلّاب انه على العرش لا فى مكان واذا أجازوا أن يخلق الله
جسمًا لا فى مكان وأن يُقيم العالم لا فى مكان فما ينكرون من
كونه لا فى مكان وليس هو بجسم ولا عرض واختلفوا فى العلم
فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون
ولا يجوز أن يخفى عليه شئٌ إلّا بأنّه استفاد علمًا او أحدثه
لنفسه بل ذاته متنبهّة عالمة وزعم قوم من الإماميّة أنّ الله
لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أنّ مَن
يخلقه يكفر به ويعصيه ويؤذيه لمَا خلقه وأجازوا فسخ الخبر
والبداء واوّل من أبدع هذا الرأى فى هذه الأُمّة المختار بن
ابى عُبَيْد كان يزعم أنّه يعلم ما يحدث من جهة الوحى فيخبر

أصحابه بكوائن فإن اتّفقت فهو ما أراد وإن خالف قد ابدأ
لربّكم وكان جهم بن صفوان ينفى الصفات كلّها عن اللّه
سبحانه ويُنكر القول بأنّه شئ زعم فرارًا من التشبيه ويقول
عِلْمُ الله محدث وجملة الردّ على هولآء أَنّ الجاهل منقوص
ومستحقّ المذمّة لا يستحقّ الإلاهيّة وأجاز المعتزلة كون ما علم
الله انه لا يكون لأنّ عِلْم الله ليس بعلّة ككون الشئ
ولا حامل للمعلوم على الكون كما أنّه لم يزل عالمًا بخلقه العالم
قبل خلقه ثمّ لم يجز القول بأنّ علمه عِلّة الخلق وحامل له
على إيجاده قالوا وممّا علم الله أنّه لا يكون أُمور علم أنها
لا يكون لاستحالة كونها [fol. 21 r°] ككون إله معه أو كون
شريك أو كون غالب يغلبه أو كون نهاية وانقضاء له ومنها
أُمورٌ علم أنّها لا تكون لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال
قالوا وغير جائز أن يأمر عبدًا بما يعلم أنّه لا يكون منه ما
يأْمره به ولا يقدر عليه لاستحالته أو لعجزه وانّما يجوز الأَمر
لمن علم انه قادر على الفعل لأن القدرة هى التى تقتضى
التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما
علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لانّه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزًا جاهلًا وهذه هى مناظرة بين الفريقين مليحة
مُفيدة قالوا لهم أليس فى قولكم انّ الله لم يزل عالمًا بأنّ
فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر ان يؤمن
وقد علم الله أنّه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون
يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله ان فرعون
لا يقدر ان يؤمن كما علم انّه لا يؤمن ثمّ قلنا انه آمن أو يؤمن
لكنا مُبطلين مجهلين ولكنا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه
يقدر ان لا يؤمن ولم يؤمن فلم نكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا
عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالمًا بانه يقيم القيامة فى وقتها
وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول
بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان
قادرًا على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى ان يفعل ما علم
انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأَمره
بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه واختلفوا فى جواز
وصف الله بالقدرة على المحال كإدخال العالم فى جوزة او
بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنّه يقتضى
العلم مقدورًا كما يقتضى العلم معلومًا فكلّ ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه
واختلفوا فى وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله
قوم لأنّ ذلك مذموم لا يفعل إلّا عن نقص او حاجة ولو جاز
ذلك لم يكن مأموماً ان يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل
والعجز وكان ابو هُذيل يقول هو قادر على ذلك ولكن
لا يفعله لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور
عليه فيكون محالًا واختلفوا فى قدرة الله تعالى هل هى علم الله
ام غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت
طائفة انّ علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنّه لو كان العلم
والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح
القول بأنّه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز
وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون
البارئ فى حالٍ عالماً غير قادرٍ أو قادراً غير عالم وزعم
داود بن على أنّ علمه غير قدرته وامّا المعتزلة فليس من قولهم
أن له علماً وقدرةً حتّى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا فى
التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وماهم يكتسبوه من
المعاصى والمآثم وقضائه إيّاها عليهم وإرادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعدَ أَن أوجدها منهم فقال قوم كلّ ذلك منه وفعله
وهو عدل وحكمة لأنّ الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه
ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مُراده او مشيّته
وإيجاده لكان عاجزًا مغلوبًا وقال آخرون لو كان كما يزعمون
لما كان الخلق ملومين ولا معاقَبين ولا من يفعل بهم هذا
حكيمًا ولا عالمًا [fo 21 vo] ولا رحيمًا وهذا من باب الحيَرْ
والقدر والاختلاف فيه قائم مذ وُجِد فى العالم حيّان ناطقان
ولا يجوز غير ذلك لتكافئ الدلالة وأعدل الأمور أوساطُها
فقد قيل الناظر فى القَدَر كالناظر فى عين الشمس لا يزداد على
طول النظر ألّا حيرةً ودهشًا ومَن طاوعَتْه نفسُه بالإمساك
عن الخوض فيه والاقتصار على ما فى الكتاب رجوت ان يكون
من الفائزين

الفصل الرابع

فى تثبيت الرسالة وأيجاب النبوّة

أقول أنّ منكرى الرُسُل صنفان أحدهما المُعطّلة الذين ينكرون إثبات البارئ سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلّا بعد إقرارهم بالتوحيد والثانى البراهمة اقرّوا بالصانع وانكروا الرسالة واحتجّوا بأنّ الرسول لا ياتى إلّا بما فى العقل او بخلافه فإن كان يأتى بموجب العقل فما فى العقل كافٍ مما يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحُسْن واستقباح القبيح وان كان يأتى بخلافه فلا وجه لقبوله لأنّ الخطاب وقع على نوى العقول والقضيّة لها والتمييز اودعتاها فاجابهم المسلمون بأن الرسول أبدًا لا يأتى إلّا بما فى العقول إيجابه أو تجويزه وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما فى العقول ولكن من الأشيآء مما يغمض ويلطف حتى يخطئه العقل او يخفى ويحتجب حتى

يقصر دونـه العقل كانتفاع الانسان بما ينزع اليه نفسه ويشتاق
اليه طبعه من ملاذّ الاغذيـة والملاهى المقوّيـة فانـه حَسَنٌ فى
العقل الأخذ منها بقدر الحاجة بل واجب وغير حسن اذا كان
لا يملكها الانتفاع بشىء منها الّا بعد الإِذْن من مالكها فصار فعل
العقل فى حال خلاف فعله فى حال فـدلّ ان العقل لا يستغنى
بنفسه ولم يضامّه شئ من السمع مع أنّ العقل محتاج الى الرياضة
والتمييز والسمع والتجارب لا غير موهوم لـو ان اكمل الخلق
عقلًا واوفـاهم فطنـةً غُيّب عن النـاس وليدًا حتّى لم يسمع
شيـأً إلى ان بلغ فـأدرك انـه يمكنـه استخراج علم الفلسفة
والهندسة والطبّ والتنجّم وغير ذلـك فـدلّ هذا كلّـه أنّ
العقل غير مكتف بـه ولا بـدّ من معلّم ومعرّف وهادٍ ومذكّر
ولا يجوز ان يقع العلم بهذه الاشيآء إلهامـًا ضروريًا لانّا ليس
نشاهد ذلك فى أجناسها وامثالها وان لا يكون كلّها بالا ستخراج
والاستنباط من غير مقـدّمة وأصل سابق فـان قيل اذا كان
البارئ مريـدًا لصلاح خلقـه غير بخيل[1] ولا عاجز ولا يمسّه
تكلّف ولا علاج فيما يفعله فهلّا جعل خلقـه رُسلًا وألهمهُم من

[1] Ms. بحيل.

العلم ما استغنوا بـه على الرسل او حبس طباعهم عن التخطى
إلى محظور قيل لو فعل ذلـك لم ينزلهم دار البلوى والامتحان
ولا عرّضهم لشرف الثواب وما هو إلّا كقول من يزعم لِمَ
خلق الله الخلق وأسقط عنهم التكليف وابتدأهم فى الجنة
وهذا باب التجويز [fº 22 rº] والتعديـل وليس كتابنا هذا
بَنَيْنَا له[1] ولكن لو فعل كان لـه ما فعل فـإذا لم يفعل فنقول
أساء أو جهل او عجز وهذا الظنّ نقض التوحيد وإبطال الدين
فيعاد الكلام فيه وتقرّر بـأنـه عادل حكيم لا يفعل إلّا الأصلح
بخلقه والاعود عليهم ولو جعلهم كلّهم رُسُلًا لوجب أن يسوّى
بينهم فى الفضل والعقل والجاه والمال والقوّة ولو فعل لما عرف
فـاضل فعلـه ولا قوىّ قوّتـه ولما شُكر وحُمد فى إسقـاط
موجبات الشكر والحمد وإباحة الفكر والـذمّ وهذا قبيـح فى
العقل فدلّ أنّـه لم يُجز التسويـة بين الخلق لا فى الحال ولا
فى المال ولا فى الرسالـة فـان طعنوا فى الرسالـة بما يوجد
فيها من سفك الـدماء وذبح البهائم وإيلام الناس فـإنّ العقل
لا يردّ شيـأً من ذلـك إذا كان فيه ضرب من الصلاح كما

[1] Corr. marg. لهذا بنيناه.

يكره الانسان على شرب الأدوية الكريهة وعلى الفَصْد والحجامة وقطع بعض الجوارح عند انتظار مخوفة وتأديب الأطفال وغير ذلـك فيوجب عليه أن لا يردع ظالمًا ولا يقتصّ من جارحةٍ وهذا قبيـح وترخيص فى الفساد ومن أعظم الـدلائل على وجوب الرُسُل هذه اللُغـات المختلفـة التى تلفّظ الناس بها ويتعارفون بها مـا يحتاجون الى معرفته ولا بُـدّ من معرّف ومعلّم لها اسمآء المسمّيات باختلاف اللغات وكذلك الصناعات والآلات التى يتوصّل بها اليها وليس فى وُسْع الناس استخراج لغة ووضع لفظ يتّفقون عليه إلّا بكلام سابق بـه يتداعون ويتواضعون ما يريدون وليس فى المعقول معرفـة ذلـك ولابدّ من معلّم قال الله عزّ وجلّ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَوُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ثمّ إذا صحّت النبوّة ووجبت الرسالة بقى أن يُعلم الفرق بين النبى وبين المتنبّى لأنّ الأشخاص متساويـة متماثلة ففرّق الله تعالى لما اراد من أقـامه حجّته وإظهار دعوته بين الصادق والكاذب منهم بما خصّه بـه من الآيـات الباهرة والعلامات المعجزة الخارجة عن العادة والحسّ وذلـك معروف معدود كما

يُحكى عن موسى وعيسى ومحمّد عليهم السلم وغيرهم من الانبيآء صلوات الله عليهم اجمعين

القول فى كيفيّة الوحى والرسالة، أقول أنّ المسلمين ومن قبلهم اختلفوا فى هذا الباب اختلافًا كثيرًا فزعمت طائفة أنّ الوحى إلهام وتوفيق وزعم آخرون أنّه قوّة الروح القُدسىّ وعند الفلاسفة النبوّةُ علم وعمل والمسلمون يقولون الوحى على وجوه فمنه الإلهام ومنه الرويا ومنه تلقين ومنه تنزيل وهذه مسئلة من فصل الصفات اغفلناها فى موضعها فحرّرناها فى هذا الفصل وهى كيفيّة القول والفعل من الله لأنّ اهل الاسلام فى ذلك مختلفون فزعم بعضهم أنّ كلام الله فعل منه فهو به متكلّم وكذلك إرادته ومشيّته وحُبّه وبُغضه وقوله كُنْ فَيَكُونُ تكوين منه للشئ والقول زيادة قالوا لأنّ هذه الاشيآء أعراض تحلّ فى مواضع لها معلومة وليس هو بمحلّ الاعراض وقال عامّتهم ان الفعلِ تكوين [f° 22 v°] وإيجاد من غير معالجة بجارحةٍ إلّا مَنْ شَذّ فزعم أنّه يخلق بيدَيْه والافعال على وجوه كثيرة فمنه الفعل بالقصد والاختيار ومنه الفعال من غير قصد على السَهْو ومنه الفعل بالاتّفاق والبحث

وكلّها حركات ومنـه فعل التولّد كما ينفعل الشئ بطبعه وفعل
الله تعالى غير مُشبّـه بشئ ممّا ذكرنا وزعم قوم أنّ كـلامه ليس
من أفعالـه وفرقوا بين القول والفعل ولقد امتدّ بنا القول إلى
هذه ومـا كان قصدُنا ان نبلغ كلّـه ولكن لما رجونا من الخير
وأمّلناه من هُدَاتِـهِ الناظر فى كتابنا واهتدآئـه بـه ولمّا نرى
من فساد الزمان وأهلـه وتحرم طالع الالحاد والنفاق واعجاب
كلّ ذى حرفين بنفسه لإنتقـاض العلمآء ودروس آثارهم ومـا
قدّمت من عمل هو أوْكَدُ فى نفسى ام لا[1] وأوثق عُدّة من
جميع هذا الكلام والاجتهاد فى شرحه وأسْل الله الـذى منّ
وأعـان أن يعصم من نزغات الشيطـان وينفـع بـه النـاظرين
والمستفيدين وان يرحم من عذرنا فى تقصير إن كان منّا وقـام
بتقويم أَوَدِهِ وإصلاح غلطه مشاركًا لنا فى ثوابـه وأجره فلم
يتعمّد فيه خطاءً وتحريفًا ولا حملتنا الحميّة والتعصُّب على تزيّد
أَو إبطال أو تغيير روايـة أو حكايـة بـل سُقنـاها على وجهها
وأدّينـاها بـأوجز لفظها لعلمنـا بعموم الحاجة اليه من الأعاجم
والأُمّيّين مبتدئ المتعلّمين ،

[1] Ms. املا.

الفصل الخامس

فى ذكر ابتدآء الخلق

قال انّ الموحّدين فى معنى إيجاد الخلق مختلفون لانّ الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعةٍ ولا لدفع مضرّة وكلّ فاعل من غير نفع ولا ضرّ فسفيهٌ غير حكيم قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضارّ فأمّا إذا كان غنيًّا من احتراز منفعة ممتنعًا من لحوق ضرر فغير سفيه ولا عابث وقد قامت الدلالة على أنّ البارئ كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العَبَث من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وان خفى علينا وجهه لعلمنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف ارآء الناس فى ما لاح لهم من الحكمة فى خلقه وإن كان لا يجوز القطع على شئ منه لظنّه معظم علمه عنهم فقال قوم خلق الله الخلق لجوده ولرحمته إذِ الجواد بإفاضة

الجُود على المجود عليه يظهر جوده والقادر بإظهار المقدور يظهر قدرته وقال قوم خلقهم لينفعهم وينفع بهم يعنون لتعبر[1] المتكلّفون بالمخلوق غير المكلّف وقال قوم ليأمرهم وينهاهم وقال قوم خلقهم لاستدعآء الشكر والثنآء وقيل لعِلم علمهُ أنّه يخلقهم وقال قوم لا نقول شيئًا من ذلك خلقهم لما شآء ولا علم لنا بمشيّته هذا قول من اقرّ بحدوث العالم وأنّ له مُحدثًا سابقًا له فأمّا من انكر ذلك فإنّه احتجّ للقِدَم والاهمال بأنّه لو كان للعالَم صانع او مدبّر ناظر لما كان فيه تفاوت خلق ولا تعادى سباع ولا شمول بوار ولا وقوع فساد ولا اعتراض أسقام وأَوْجاع ولا هَرَم ولا موت ولا حزَن ولا فاقة وأيّة حكمة فى انشآء صورة حيوانيّة او ناميّة ثمّ فى إفنآئها ولما استوى حال المعاند والمجيب ولما فضل العالِمَ الجاهلُ بالجاه والمال والمنزلة [f° 23 r°] وهل لا[2] أُخبر الخلق ان كان له خالق على التناصف والتواصل ولِمَ خُلّى بينهم وبين التعادى والتظالم والتباغى والتهارج وهذا كلّه مضمحلّ متلاشٍ بشهادة آثار الخلق

[1] Ms. لتعبر.

[2] Ms. هلّا ; corr. marg. هل.

على تفاوتـه واختـلافـه فى الظـاهر من الاجتماع والافتراق
والحركـة والسكون والاعراض والمقـارنـة لـه بمعرفـة كمال
القدرة ووجوب العبرة فى خلـق الأضداد وللمكاره وإعطآء
الخلق القوّة والقُدرة والاختيار ليستحقّوا بأعمالهم أشرف الثواب
وليرتـدعوا بالاعتبار عن الظلم والفساد ولو كانوا مجبورين كما
يزعمون أو مجبولين على فعل واحد دون ضدّه لكانوا جمادًا مواتًا
ولو كانوا على طبع واحد لما عرفوا بحواسّهم ولا وجدوا بعقولهم
إلّا الشئ الواحد الـذى يلايم طبعهم فلم يصلح حينئذٍ تكليف
ولا وقـع منهم تمييز وترك إلحـادهم على هذه الصورة انفع لهم
وابلغ فى الحكمة ولا يفعل الله إلّا الأصلح الأحكم وأمّـا
فضل الجاهل العالم بالمال والجاه فـالعلم أفضل من المال لأنّـه
السعادة اللازمة والمال من السعادة المفـارقـة فلو أنصف هذا
الزاعم فى القضيّـة لفضّل الجاهل بالمال على العالم لفضّل العالم
على الجاهل بأضعاف علمه لتساوى حالَيْهما وقد سُئل جعفر بن
محمّد الصادق رضى الله عنه عن هذه القضيّة قال ليعلم العاقل
أن ليس إليـه من أمره شئ واى لعمرى هو من أدلّ دليـل
على مُدبّر قـدير قـاهر وهولآء المعطّلـة اقـلّ الناس عددًا

واوهنهم عُـدّةً وافيلهم رأيًـا وأوهاهم عزمًـا وأنقصهم حجّةً
وأخسّهم دعوًى وأدناهم منزلـةً وأغربهم ذهنًا لا يظهر واحد
فى أمّـة وجيـل إلّا فى الـدهر والحين لأنّـه رأى مشرذل
وعقيدة مهجورة وعزم مدحول لا يبـدو إلّا من فَـدْمٍ جاهلٍ
أو معاندٍ وما أراه انتشر فى أمّة من الأُمم وزَمَن من الأزمنة
انتشاره فى زماننا هذا وأُمّتنا هذه لتستُّر أهله بالاسلام وتحلّيهم
تحلية شرائعهم ودخولهم فى غمار أهلـه واحتال من احتال لهم
بلطيف التمويـه فى تسليم الأُصول الظـاهرة والمصير بـه إلى
التـأويـلات البـاطنـة فهم يُرقّقون عن صَبُوح ويحتسون فى
إرتغاء وذلـك الـذى حقن دماءهم وغمد سيف الحقّ عنهم
نابغ فى قديم الدهر وحديثه وابدا صفحته إلّا عوجل بالاستئصال
واحتث منه الأوصال واستنجر العدّة فيهم سنّة الله فى الدين
خلَو من قبل ولن تجد لسنّـة الله تبديـلًا زعموا أنّ هذه الدنيا
قـديمة لم تزل[1] على ما هى عليه ولا تزال[2] كذلك من صيفةٍ
بعد شتوةٍ وشتوة بعد صيفة وليل بعد نهار ونهار بعد ليل ونطفة

[1] Ms. يزل.

[2] Ms. يزال.

من إنسان وانسان من نطفة ووالد من ولد وولد من والد
وبيض من طير وطير من بيض وكذلك جميع الاشيآء الحسّاسة
والنامية بعضها من بعض بلاصانع ولا مدبّر لا اوّل لها ولا آخر
فإنّ هذه دعوى جائزة ومقالة باطلة ولو كان هذا المُدَّعى
لم يزل مع أزليّة العالم بزعمه لما ساغت له دعواه ان لم يقُمْ
له دليل من غيره على أزليّته فكيف وليس هو ممّن هو لم
يزل ولا هو ممّن لا يزال وان اعتمد فيه خبر من كان قبله وان
من أخبره لهو فى حاله وحدوثه لم يشاهد من ذلك إلّا ما
شاهد من كان قبله مع معارضة الخصم له [f° 23 v°] فى الكون
والحدوث لأنّ الدعاوى تصحّ بالحجج لا بالصفات وإن زعم انّه
قاس ما مضى منه بما هو مُستقبَل فيما بعدُ وانّه غير مُنْقَضٍ
فهذا القضآء أجود من الأوّل وأضعف مدّة بل هو نفس دعواه
التى خولف فيها والمعارضة قائمة فإن زعم الحال والوقت
الذى هو فيه فإنّ هذا رأىُ مَنْ قَصُرَ عِلْمه وسَخُفَتْ معرفته
وأوجب أن يكون هو بنفسه لم يزل على ما هو عليه فى الحال
والوقت لم يكن قط نطفة ولا علقة ولا مُضْغة ولا جنيناً
ولا رضيعاً ولا يتغيّر فيما بعدُ فيكتهل ويشيب ويهرم وتجرى عليه

الحوادث وتنتقل به الأحوال ومعاينة هذه يضطرّه إلى الإقرار ويبيّن عنه وجه العناد وإن زعم أنّ حكمه فى نفسه خلاف حكم العالم قيل ولِمَ زعمتَ ذلك وهل أنت إلّا جُزْءٌ من العالم بل قد شبّهت فى جميع معانيه فسُمِّيّتَ العالم الأصغر وكذلك كلّ ما يعاين من الأشخاص والأنواع العُلويّة والسُفلية من الحيوان والنبات ألاترى أنّك لو عمدت الى كلّ جزء من أجزآء العالم فاختصصتَه باسمٍ لحصل العالم لا شئ كما أنّك لو فرقت الجوارح والأعضاء لحصل الإنسان لا شئ فهذا يدُلّك أنّ الكلّ اجتماع الجزء لا غير فإن قال لا يقوم فى الوهم ولا يتصوّر فى النفس حدوث هذا العالم ولا فنآؤه وانقضآؤه عُورض بأنّه لا يقوم فى الوهم ولا يتصوّر فى النفس قدم العالم ولا بقآؤه مع أنّ القضآء عليه بالحدث والانقضآء أقرب الى الأوهام وأشدّ ارتباطًا لنفوس لقيام الدلائل الواضحة والبراهين الشافية فإن قال كيف يمكن اعتقاد حدوث هذا العالم لا من شئ ولا فى زمان ولا مكان فإنّ هذا اشتطاطٌ فى المطالبة وجَوْرٌ فى القضيّة لأنّه تكليف تمثيل ما لا مثل له وإحساس شئ غير محسوس وليس نعلم

كالدنيا دُنيًا غيرها فنشبّـه هذه بهذه وانما نحكم بحدوثها لشهادة
أَثَر الحدوث بها والعامّى الـذى لا رأى لـه ولا نظر عنده
يطلب الـدلائـل الظاهرة على الاشياء الخفيّـة وذلـك مُحال
بمنزلـة مَنْ يجب أن يَرى مـا لا يُرى وأن يَسمع مـا لا يُسمع
او يسمع ما يُرى ويَرى ما هو مسموع ومن أنصف نفسه أنزل
المعلومـات منـازلها واكتفى من الموهوم بالوهم ومن المحسوس
بالحسّ ومن المدلول عليه بالدلالـة وقـد لعمرى لا يتصوّر فى
الوهم إحداث هذه الجواهر والأعراض لا من غير سابق ثمّ
لا يتصور وجود حدث لا من مُحدث فـإذا تكـافـأَت
الصورتان لزم المصير إلى أشيعهما دلالـةً وأدناها الى الحقّ درجةً
فـإنّ الدلائـل شاهدة بآثار الحدث والقـدم موهوم وقضيّـة
الـدلالـة عليه من قضيّـة الوهم والدليل على أنّ العالم حادث
غير قـديم كما يزعمون وأنّـه لا اوّل لـه ولا حركـة إلّا وقبلها
حادثـة لو كان كذلـك لما جاز وجود ما هو حاضر فى الحال
من حركـة أو ليل أو نهار أو شخصٍ ما لأنّ ما لا نهايـة لـه
فى وجوده وعدمه فمحال أن يوصف بأنـه قـد تناهى وانقضى
حدوثـه وفُرِغ منه ولأنّ ما لا أوّل لـه فغير جائز وجود ثانيه

ولا وجود ثالثٍ ما لا ثانىَ لـه ولا وجود رابعٍ ما لا ثالثَ لـه

على هذا القيـاس كما أنّ مـا لا غايـة لـه ولا نهايـة فى

المستقبل [fº 24 rº] محال ان يُوصَف بـأنّـه ينقضى أو ينقطع يومًا

كذلك من زعم من الحوادث لم يزل يحدُثُ بلاأوّل فهذا

الحادث فى الحال والوقت المشاهد لا يخلو من وجود ثلثة[1] إمّا

أن يكون هو الاوّل أو بعد الاوّل ولا اوّل ولا بعد الاوّل فـإن

كان هو الاوّل وان كان بعد الاوّل فقـد ثبت الاوّل وان كان

لا اوّل ولا بعد الاوّل فهذا فسادة ظاهرة فكـأنّـه قـال شئ

لا شئ ولو جاز وجود مـا لا اوّل لـه لجاز وجود العشرات

من غير تقـدّم الآحاد ووجود المئين من غير تقـدّم العشرات

ووجود الأُلوف من غير تقدّم المئِين[2] لأنّ بالأحد يتمّ الاثنان

وبالاثنين يتم الثلاثة ألا ترى أنّ قائلًا لو قال لا تُنبِت الأرض

حتّى تمطر السمآء ولا تمطر السمآء حتى تتغيم ولاتتغيّم حتّى يثور

البُخار ولا يثور البخار حتى تهبّ الـريـاح ولا تهبّ الـريـاح

حتّى يحرّكها الفلك ولا يحركها الفلك حتى تكون كذا ويمدّ

[1] Ms. ثلثه.

[2] Ms. المايين.

فى هذا الاشتراط شيأً قبل شىء أبدًا الى غير نهايــة ولاغايــة
لم يجز وجود نبت ولا مطر ولا غيم ولا ريح لأنّــه مُعلّـق
بشرط ما قبله غير جائز وجوده لأنّــه غير متناهٍ وكـذلـك
من زعم أنّه لم يكن حركة إلّا وقبلها حركة ولا انسان الّا وقبله
انسان ولا نَبْت الّا وقبلـه نبت الى مـا لا غايـة ولا نهايـة
فمحال وجود هـذا الانسان والنبت لأنّ وجوده كان مُعلّقـا
بشرائط لا أوّلها وما لا غايـة لـه لا يُوجد ولا يُعلم ولا يُوهم
وكذلك لو قال قائل لا أدخلُ هذه الدار حتّى يدخلها زيد ولا
يدخل زيد حتّى يدخل عمرو ولا يدخلها عمرو حتى يدخلها فلان
ثم كـذلـك الى غير غايـة لم يجز دخول زيد ولا غيره أبدًا
وكـذلـك لو قـال لا آكل تفّاحًا حتى آكل قبلها تفّاحةً
لم يصحّ لـه اكل تفـاحة ابـدًا لأنّـه كلّما ضرب يـده الى
تفّاحة يأكلها منعه شرط أكل تفاحة قبلها ، ومن الـدليل
على حدث العالم أو أنّ لـه أوّلًا انّا لو توهّمنا عند كلّ حركـة
مضَتْ من حركات الجسم حدوث حَدَثٍ او ظهور شخص لكان
ذلـك اجسامًـا حاضرةً يحضرها العَدَدُ ويـأتى عليها الحسابُ
وكذلـك لو توهّمنا هذا العالم حيًّـا عالمًا لجاز أن يُعدّ حركاتـه

وسكناته فيكون ذلك عددًا قائمًا معروفًا لمبلغ وما له
مبلغ وأتى الحسابُ عليه فمتناهٍ وكلّ متناهٍ له أول وإنْ لم يتناهَ
ومن الدليل على حدث العالم وأَنّ له اوّلًا أن ما مضى من
حركات الفلك لا يخلو من أن يكون مثل سكناتها متساويةً
أو اكثر منها أو أقلّ فإن كانت مثلها فالمثل كالنصف وما
له نصف فمتناهٍ والأكثر والأقلّ تدلّ الكثرة على تضاعُف
أجزآء الأكثر على الأقلّ فاذا ثبت تقدُّم احدى الحركات
على الأُخرى وما له تقدّم فمتناهٍ وله أوّل وهذا من الحجج
الواضحة التى يفهمها كلّ سامع وللموحّدين فى هذا الباب من
دقائق النظر بما أَلهمهم اللّه من توفيقه ما لا يظهر عليها إلّا
اللقن الفَطِنُ ولها موضعها من كتابه فإن قيل أليس الحوادث
عندكم فى المتسقبل لا تزال الى الآخر وإن كان لها اول يريدون
قول أهل التوحيد ببقآء الآخرة على الأبد فما أنكرتم أن ما
مضى من الحوادث لا أوّل لها وان كان لها آخر قيل إنّا
لا نزعم أنّ ما له أوّل لا يجوز ان يكون له آخر وانّ
الحوادث غير متناهية [f° 24 v°] ولكنّا نقول أنّ الحوادث لا يزال
يحدُثُ منها حادثٌ بعد حادثٍ لا إلى غاية ولا يخرج كلّها إلى

الوجود حتى يُرى موجودًا لم يبقَ منه شئ لم يُوجَد وليس أوّل
الشيء بموقوف على صحّة وقوع آخره كما أنّ آخره موقوف على
صحّة وقوع أوّله لأنّه يستحيل وقوع آخر لا أوّل له ولا
يستحيل وقوع آخر بعد آخر أبدًا كما يستحيل وقوع فعل لا من
فاعل متقدّم ثمّ لا يجب وجود الفاعل بعد فعله باقيًا أبدًا أو
كما أنّ الأعداد مفتقرة أبدًا الى أوّل تنشؤ منه وتبتدئ ثمّ
لم يجب وجود تناهيها لتناهى أوّلها ومن الفرق بين المستقبل
والمستدير أنّه يجوز وجود ما لا يزال يتحرّك ولا يجوز وجود
ما لم يزل يتحرّك كما أنّه يجوز وجود من لا يزال يعتذر من
ذنب ولا يجوز وجود من لم يزل معتذرًا لأنّ الاعتذارات
لا بُدّ لها من أوّل وقد يجوز أن يكون لا آخر لها كذلك
الأفعال لا بُدّ أنّ لها اوّلًا ولا يجب أن يكون لها آخر ومن
هاهنا التزم بعض الموحدّين بأنّ الحوادث لها آخر آخر العلة
الحدث وإن زعم ان هذا العالم وما فيه من فعل الطبائع ومما
أوجبته ذواتها فالطبائع مركّبة من البسائط والتركيب عَرَض
وهو دلالة الحَدَث فالطبائع إذًا مُحدثة ثمّ هى جماد وموات
كالحجر والشجر ثمّ هى مسخّرة مقهورة بدلالة أنّ من شأنها

التنافر والتضادّ فلمّا رأيناها متواطئة متوافقة علمنا أنّه بقهر قاهر وضبط ضابط ثمّ هى غير عالمة ولا مميّزة واذا كان هذا هكذا استحال وجود هذه الصَّنْعَة المحكمة المتقنة العجيبة البديعة من مُسخّر غير عالم وليس نُنكر فعل الطبائع وتأثيراتها فى المطبوعات من الحرّ والبرد فى الفصول والارباع لأنّ الله تعالى وضعها على ذلك وركّب فيها تلك القوّة وسخّرها لما أراد أن يصرفها عليه وجعلها سببًا لتلك المُسبَّبات ومتى شاء سلبها تلك القوّة وأبطل فعلها كما جعل الطعام مُشبعًا والمآء مرويًا وكثير من الناس يأتون القول بما أطلقناه تحرّزًا لمذهبهم وان يصحّ فعل من حىّ قادر فأمّا الاختيار والتدبير فغير جائز الّا من قادر حكيم وكذلك على من يزعم أنّ هذا العالم وما فيه من فعل الفلك والنجوم وغيرها فإن قيل اذا لم تَرَوا حيًّا قادرًا فعل انسانًا وصورةً وركّب فيه العقل والقوّة والسمع والبصر ثم قضيتم بأن فى الغائب حيًّا قادرًا يفعل ذلك ما انكرتم أن يكون الطبائع تصوّر مثل هذا الانسان وإن لم تروا مثل هذا فى الشاهد قيل وما سوآ لأنّا وإن لم نشاهد حيًّا قادرًا فعل انسانًا فقد شاهدنا

حيًّا قادرًا فعل شيًا وأبدعه فدلّنا انه لا يجوز فعل فى الغائب الّا من حىّ وليست الطبائع بحيّة ولا قادرة فإن قيل أليس النار تُحرق والمآء يرطّب قيل فقد يقولون فلان يحرق ويبرّد ويضيفون الفعل الى المختار الحىّ والموات المضطرّ ولو كانت الطبائع بذاتها لما جاز عليها الاتّفاق مع تضادّها فإن قيل شئ تعلمونه خاليًا من الطبائع أو غير متولّد منها قيل الطباع نفسها متولّدة منها وأكثر القدمآء على أنّ الأفلاك ليست من جنس الطبائع وهل يصحّ القول بأنّ الحركة والسكون والصوت والعجز والقدرة [fº 25 rº] والعلم والجهل والحبّ والبغض والألم واللذّة والكراهة والإرادة وغير ذلك من الأضداد والأشكال من الطبائع أو أنّها ليست بشئ لخروجها من أنواع الطبائع وأمّا احتجاجهم بالاستحالة فذلك محال الا بمحيل[1] لانه لو جاز أن يستحيل الشئ بنفسه لجاز ان يتلاشى بنفسه ولو جاز ان يتلاشى بنفسه لجاز أن يتركّب ويخرج إلى الوجود من العدم وهو عدم فلمّا لم يجز هذا لم يجز ذاك وبالله التوفيق ، ومن الدليل على حدث العالم أنّه لا يخلو

[1] Note marginale : كذا فى الأص.

من أحد الامرَيْن إمّا أن قد كان وإمّا أن لم يكن فكان
فإن كان قد كان فهذه الحوادث المقارنة له شاهدة بأنّه
ما كان فدلّ أنّه لم يكن فكان ثمّ لم يخلُ هذا من أحد
الامرَيْن إمّا أنّه كان بنفسه وإمّا أنّه كان بكوّن غيره فإن
كان بنفسه فمحال أن يكوّن العدم وجودًا لعجز الكائن عن
تكوين مثله فكيف يقدر على تكوين ذاته وهى معدومٌ بقى
الوجه الآخر وهو أنّه كونه مُكوّنٌ ومن الدليل على
حدث العالم أنّه لا يخلو أن يكون قديمًا أو حادثًا أو قديمًا
حادثًا أو لا قديمًا ولا حادثًا فاستحال القول بأنّه لا قديم
ولا حادث لمشاهدتنا إيّاه فاستحال أن يكون قديمًا حادثًا
لاستحالة اجتماع الضدّين بقى القول بالقديم والحدث والدعوى
يتساوى فيه لأنّه ليس قول من زعم أنّ العلم كان أولى من
قول من زعم بأنّه لم يكن ولا جواب من قال لِمَ لَمْ يكن
بأسعد من قولِ مَنْ قال لِمَ كان فنظرناه فإذا دلائل
الحدث يشهد بما لا يشهد دلائل القدم ومتى أراد المُلحد ان
يعارضك فى قولك بالقديم فطالِبْه بصفات القديم فإن
أعطاك فقد أقرّ بالمعنى وبقى الخلاف فى التسمية وهذه مناظرة

جرَتْ بين الموحّد والملحد من أوضح المسائل وأنفعها لا بُدّ لكل
مُسلم من تحفّظها ، إن سأل سائل فقال ما الدليل على حدث
العالم قيل الدليل على حدثه أنّه جواهر وأعراض والجواهر
لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرّقة أو ساكنة أو
متحرّكة إلّا فى حال واحدة ولن يجتمع المجتمع بالاجتماع
ولا يفترق المفترق بالافتراق وكذلك المتحرّك والساكن
والاجتماع والافتراق والحركة محدثة وهو إذا كان
كذلك ولم تخلُ الجواهر منها فهى محدثة لأنّ ما لم يسبق
الحوادث ولم يتقدمها فحادث مثلها مثال ذلك أنّ فلانًا لو
قال أنّ عمرًوا لم يوجد قطّ فى هذه الدار إلّا وزيد معه ثم
قال وإنّما وجد فيها زيد أمس فوجب أنّ عمرًوا انّما أوجد
فيها أمس فإن قيل ليس قد وجدتم الباقى الذى ليس
بمنتقض لا يخلو ممّا لا يبقى وينقضى ولا يوجد بعده متعريًا
منه فما أنكرتم أنّ القديم الذى لم يزل لا يخلو من حادث
ولا يوجد سابقًا له متعرّيا منه قيل المعارضة فاسدة من قبل
أنّه ليس ممّا لا ببقى وينقضى عروضًا للحدث او المحدَث وانّما
عروض ذلك لم يبقَ وانقضى وذلك أنّ قولك لا يبقى

وينقضى الحالة على وقت يأتى به يستحقّ الحكم بأنّه
مُنقضٍ غير باقٍ فلم يكن منكرًا لان يقارن الباقى حتّى لا يخلو
منه اذ لم يُسبَق الوصف المضادّ لوصفه وقولك قد حدث حكم
قد وجب له فى وقته لا ينتظر وجوبه فى وقت فاستحال
أن يقارن القديم حتّى لا يكون [f° 25 v°] القديم سابقًا له فإن
قيل فاوجبوا أن يكون الباقى متغرّبًا ممن لم يبقَ وانقضى كما
أوجبتم أن يكون القديم سابقًا للمحدثات موجودًا قبلها قيل
ذلك يفعل وهو الواجب كما أنّه سابق للحوادث فكذلك
يجب أن يكون باقيًا متأخّرًا عنها ومتى ما لم يكن كذلك
لم يكن باقيًا كما أنّه لو لم يسبقها لم يكن قديمًا فإن قال اذا
زعمتم أنّ المقارن للحوادث حوادث فما ينكرون أن يكون
المقارن للحوادث أمس حادثًا أمس قيل لأنّا نقول أنّ الذى
يقارن للحوادث حادث بالإطلاق ولكن نقول ما لم يسبقها
فحادث مثلها والجسم فإن قارن الحوادث أمس كان موجودًا
قبله فلذلك لم يجب أنْ يكون حادثًا معه وهذه يؤكد
ما قلنا له كما وجب ان يكون ما لم يسبق الحادث أمس
حادثًا أمس فكذلك يجب أن يكون ما لم يسبق الحوادث

بـإطلاق حادثًا بالإطلاق فـإن قيل أليس لم نشاهد والاجسام
مقارنـة لحوادث إلّا وقد كانت موجودة قبلها مقارنـة لحوادث
غيرها فهلّا زعمتم أنّ ذلـك سبيلها وأنّها لم تزل كـذلـك قبل
هذا غير واجب لانّا وإن كُنّا حكمنـا بـأنّ الأجسام التى
شاهدناها كانت متقدّمة للحوادث المقارنـة لها مقارنـة لغيرها
فلم نحكم بذلـك من طريق الوجوب ولا لأنّ الجسم انّما كان
جسمًا موجودًا لأنّـه لا بُـدّ من أن يكون متقـدمـا للحوادث
المقارنـة لها مقارنًا لغيره لأنّ هذا حدّ[1] الجسم وحقيقتـه بل
إنّما حكمنا بـذلـك لأنّا لم نشاهد جسمًا حدث فى وقت
مشاهدتنـا لـه ولأنّـه صحّ عندنا بالخبر والـدليل أنّ هذه
الأجسام التى شاهدناها قـد كانت موجودة قبل مشاهدتنا لها
وصحّ ان الجسم لا يخلو من حادث ولو أنّا شاهدنا جسمًا فى
وقت لم نشاهده قبلـه ثمّ لم يَقُمْ لنـا دليـل على أنّـه كان
موجودًا قبل تلك الحال ولا خبر صادق بذلـك لما حكمنا
بأنّـه قـد كان موجودًا قبـل الحوادث المقارنـة لـه مقارنًا
لغيرها بـل كنّا نخبر[2] ذلـك ونخبر[3] ان لا يكون سبق مـا

[1] Ms. احد.   [2] Ms. بحبر.   [3] Ms. بحر.

هو موجود معه منها ، فـإن قيل ولِمَ جوّزتم هذا وهلّا قضيتم على كلّ جسم غاب أو حضر ورَدّ فيه خبرًا ولم يردّ قـام على تقدّمه دليل أو لم يقُمْ بمثل[1] ما شاهدتم عليه هذه الأجسام وقضيتم بها عليها من تقـدّمها الحوادث الموجودة منها ومقارنتها[2] لغيرها وإلّا فكيف تزعمون[3] انكم تقضون بالشاهد على الغائب قيل ليس القضايا بالشاهد على الغائب على ما ظننتموه لأنّـه ليس يجب اذا شاهدنا جسمًا على صفة من الصفات أن تقضى كلّ جسم غاب عنّا كذلـك انّما يجب اذا شاهدناه على صفة مـا أن يُنظر هل هو عليها من جهة الوجوب الـذى هو حدّه وحقيقتـه أم لا فـإن كان كـذلـك قضينـا على كـلّ جسم غاب عنّا بحكمه وإلّا فلا كما قلتم أنّ لا جسم فى الشاهد إلّا مركّبًا من الطبائع الأربع ولا مركّبًا من الطبائع إلّا جسما ثم قلتم بأن الافلاك من طبيعة خامسة ولم يشاهدوا ذلـك فكذلـك إذا لم نرَ إنسانًا إلّا أبيض لم يجب القضاء بـأنّ كلّ إنسان

[1] Ms. عمثل.

[2] Ms. مقاربتها.

[3] Ms. يزعمون.

أبيض أو لم نرَ رُمّانًا إلّا حلوًا لم يلزم أن لا يكون رُمّان إلّا
حُلْوٌ وكذلك اذا لم نرَ جسمًا مقارنًا لحادث إلّا وقد كان
عندنا متقدّمًا له مقارنًا لحادث غيره فلم يكن جسمًا لأنّه
كذلك ولا ذلك حدّه بل حدّه أن يكون طويلًا عريضًا
عميقًا فلمّا لم يكن جسمًا لانّه يسبق الحوادث فيُوجد مع غيرها
لم يجب أن يكون ذلك [fº 26 rº] حال كلّ جسم فى كلّ
وقت وهذا ايضًا جواب قولهم إذا لم يَروْا أرْضًا إلّا ومِن ورائها
أرض ولا بيضة إلّا من دجاجة ولا دجاجة إلّا من بيضة
فكيف قضيتم بخلاف ما شاهدتم فيقال ليس حدّ البيضة
أنْ تكون من الدجاجة ولا حدّ الدجاجة ان تكون من البيضة
وانّما الدلائل قامت على حدثها فإن قال ولِمَ زعمتم ان
الجواهر لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرّقة قيل هذا من
أوائل العلوم التى تُعرف بالبديهة ولا يعترض عليها بالشبه فإن
قال ما الدليل على المجتمع اجتماعًا به كان مجتمعًا وللمفترق
افتراقًا دونَ أن يكون مفترقًا ومجتمعًا بنفسه قيل لو كان
مجتمعًا بنفسه لما جاز وجوده مفترقًا ما دام نفسه موجودة
وكذلك المفترق فدلّ أنّ المجتمع مجتمع باجتماع وكذلك

الافتراق ، فإن قيل وما الدليل على الاجتماع والافتراق مُحدَثان قيل الدليل على ذلك أنّا نقصد الجسم المجتمع مفترقة فيُوجد فيه افتراق فلا يخلو ذلك الافتراق من أن كان موجودًا فيه قبل ذلك أو لم يكن فحدث فان كان موجودًا فيه فقد كان مجتمعًا مفترقًا وهذا محال فثبت انه حدث عند الافتراق وبطل أن يكون الاجتماع والافتراق كامنين فى الجسم فإن قال ما انكرتم أن يكون الاجتماعات والافتراقات لا نهاية لها وأنّه لا اجتماع إلّا وقبله اجتماع ولا افتراق إلّا وقبله افتراق قيل هذا فاسد لأنّه لو كان كذلك لما جاز أن يوجد واحدٌ منهما كما أنّ قاصدًا لو قصد إلى جماعة فقال لا يدخُلنّ هذا البيت أحدٌ منكم حتّى يدخله قبله آخر ما جاز أن يوجد واحدٌ منهم فى ذلك البيت ولو وجد كان فى ذلك انتقاض الشرط فإن قيل فما تنكرون أن يكون الاجتماع والافتراق خمسين قيل لو كانا كذلك لم يخلُ من أن يكونا مجتمعَيْن أو مفترقَيْن باجتماع وافتراق هما هما أو غيرهما فان كانا مجتمعين باجتماع هو هما استحال وجود الافتراق فيهما ما دامت أعيانهما قائمةً وان كانا مجتمعين باجتماع هو غيرهما

احتاج ذلك الاجتماع إلى اجتماع الى ما لا نهاية له ولا
غاية وكلّ ما لا نهاية له ولا غاية فغير جائز وجود ما فى
الحال منه وهذه مسئلة جارية منذ قديم الزمان ولقد
رأيتُ اهل النظر يتحمّون أمرها ويرفعون من شأنها ووجدتها
فى عِدّة كتب بألفاظ مختلفة فلم أجدها أكمل وأتمّ من
قول ابى القاسم الكعبى فى كتاب أوائل الادلّة فانبتّ
بها على وجهها وقد ثبت حدث العالم كما ترى فيجب أن يُنظر
أأَحدث جملةً واحدة وضربة واحدة أم شيئاً بعد شىء لأنّ
ذلك كلّه محوز فى العقل فإن اوجد كما هو فابتداؤه
حدوثه وإن اوجد منه شئ بعد شئ فابتداؤه ما أوجد منه
وليس ذلك الى العقل فيُعتمد ولكن سبيله السمع والخبر
والناس مختلفون فيه القدمآء ومَنْ بعدهم من أهل الكتاب
والمسلمون وانا ذاكر من ذلك ما رُوى ومُرجّح ما وافق الحقّ
إن شاء اللّه عزّ وجلّ ،

القول فى ابتداء الخلق قرأت فى كتاب منسوب الى رجل
من القدمآء يقال له افلوطرخُس[1] ذكر فيه اختلاف

[1] Ms. افلوطوخُس.

مقالات الفلاسفة ووسمه بكتاب ما يرضاه الفلاسفة من الأرآء الطبيعيّة حُكى عن تاليس الملطى [1] أنّه كان يرى مبدأ الموجودات المآء منه بدأ وإليه ينحلّ وإنّما دعاه الى توهّم [fo 26 vo] هذا الرأى أنّه وجد جميع الحيوان من الجوهر الرَطْب الذى هو المنىّ فأوجب أن يكون مبدأ جميع الاشيآء من الرطوبة ومتى ما عدمت الرطوبة جفّت وبطلت وحُكى انّ فيثاغورس من أهل شاميا وهو أوّل ما سمّى الفلسفة بهذا الاسم وتاليس أوّل من ابتدأ الفلسفة أنّه كان يرى المبادى هى الأعداد المتعادلات وكان يسمّيها تأليفات وهندسيّات ويسمّى من جملة ذلك اسطقسات ويقول الواحدة والثانية لا حدّ لهما فى المبادى ويرى أنّ أحد هذه المبادى هى العلّة الفاعلة الخاصّة [2] وهى اللّه عزّ وجلّ والثانى العقل والثالث العنصر وهو الجوهر القابل للانتقال وعنه كان العالم المدرك بحسّ البصر وأنّ طبيعة العدد تنتهى [3] الى العشرة واذا بلغها

[1] Ms. المطلّى.

[2] Indication marginale : فى الاصل الحاصبه.

[3] Ms. ينتهى.

رجع الى الواحد وأنّ العشرة بالقوّة فى الأربعة وذلك اذا
اجتمعَت الأعدادُ من الواحد الى الاربعة استكملت عدد العشرة
وقد ذكر ابن رزام هذا الفصل فى كتاب النقض على
الباطنيّة قال افلوطرخس وكذلك كان الفيثاغوريون [1] يقولون
فى الاربعة قسمًا عظيمًا ويأتون فى ذلك بشهادة الشِعْر إذْ يقولون
لا وحقّ الرباعية التى تدبر أنفسنا التى هى أصلٌ لكلّ طبيعة
التى تسيل دائمًا كذلك النفس التى فينا مركّبة من أربعة
اشيآء وهى العقل والعلم والرأى والحواسّ ومنها تكون كلّ
صناعة وكل مِهْنَة وبها كنّا نحس أنفسنا فالعقل هو الواحدة
وذلك أنّ العقل انّما يجرى وحده وامّا الثانية التى ليست بمحمودة
فالعلم وذلك ان كلّ برهان وكلّ اقناع فمنه وأمّا الثالثة فالراى
لأنّ الراى لجماعة والرابعة الحواسّ وحُكى عن برافليطس انّه
كان يرى مبدأ كلّ شىء النار واليها انتهاؤُها وإذا انطفأت النار
يشكّل به العالم واوّل ذلك أنّ الغليظ منه إذا تكاثف واجتمع
بعضه الى بعض صار أرضًا واذا تحلّلت الارض وتفرّقت أجزاؤها
بالنار صارت مآءً والنار يحلّل الأجسام ويثيرها وحُكى عن

[1] Ms. الفوياهوريُّون.

انغماُمس انـه كان يرى الهوآء أوّل الموجودات منه كان الكلّ وإليه ينحلّ الموجودات مثل النَفْس التى فينا وانّ الهوآء هو الذى يحفظ فينا الروح والهوآء يُمسكان العالم كلّه والروح والهوآء يقالان جميعًا لأنّ على معنى واحد قولًا متواطـًا وحُكى عن فيثاغورس[1] أنّـه كان يرى أنّ مبداء الموجودات هو المتشابـه الأجزآء وأن الكائنات يكون بالغذآء الـذى تغتذى بـه ومن هذه الكائنات يكون معنى المتشابـه الأجزآء وعنده أن الاشياء[2] يـدرك بالعقل لا بالحسّ وهى أجزآء الغذآء وانما سمّيت متشابه الأجزآء من أجل أنّ هذه الأعضآء المكوّنـة من الغذآء متشابهة بعضها يشبـه بعضًا فسمّيت متشابهـة الأجزآء وجعلها مبادى الموجودات وصيّر المتشابه الأجزآء عنصرًا وحُكى عن ارسلاوس أنّـه يرى مبدأ العالم ما لانهايـة له وقـد يعترض فيه التكاثف والتخلخل فمنه ما يصير مآءً ومنه يصير نارًا وحُكى عن اسقورس أنّـه كان يرى الموجودات أجسامًا مدركة عقولًا لا خلآء فيها ولاكون سرمديّـة غير فـاسدة لا يحتمل التكسُّر والتهشّم

[1] Ms. انفساغورس.

[2] Ms. الاسيآء.

ولا يعترض فى أجزائها خلاف ولا استحالـة وهى مدركة بالعقل
لا بالحواسّ وهى لا يتجزّأ وليس معنى قوله لا يتجزّأ أنّها فى غاية
الصغر لكن لا تقبل الانفعال والاستحالـة وحُكى عن
اثمادقليس أنّه [fo 27 ro] لا يرى الاسطقسات الأربع التى هى الماء
والنار والهوآء والأرض وأنّ المبدأ مبدآن[1] وهما المحبّة والغلبة
واحدهما يفعل الإيجاد والآخر يفعل التفرقـة وحُكى عن
سُقراط بن سقرنقس وافـلاطون بن آرسطو الإلاهىّ أنّهما يريان
المبادئ ثلاثة[2] الله والعنصر والصورة زعم المفسّرون أنّ معنى
قولهم الله هو العقل العالم ومعنى العنصر هو الموضوع الاوّل
للكون والفساد ومعنى الصورة جوهر لا جسم فى التخييلات
وحُكى عن ارسطـاطـاليس بن تومـاجس صاحب المنطق
أنّه يرى المبادئ الصورة والعنصر والعدم والاسطقسات الأربع
وجسم خامس هو الأمر غير المستحيل وحُكى عن دنوهرماوس
أنـه يرى المبـادئ هى الـلـه تعالى وهى العلـة الفـاعلـة
والعنصر المنفعل والاسطقسات الأربـع فهذا جملـة مـا حكاه

[1] Ms. مبديان

[2] Ms. ىلاىة.

افلوطرخس[1] من أقـاويـل الفلاسفة فى المبادئ وزعم ايوب الرهاوى فى كتاب التفسير أنّ المبادئ هى العناصر المفردة يعنى الحرّ والبرد والبلّة واليُبْس فكُوِّنت النارُ من تركيب الحرّ مع اليبس وكُوِّن الهوآء من تركيب البرد مع البلّة وكُوِّن المآء من تركيب البرد مع البلّة وكُوِّنت الأرض من تركيب البرد مع اليبس فصارت هذه العناصر المركّبة ثم كُوِّن من تركيب هذه العناصر المركّبة الحيوانُ والنباتُ ،

ذكر مـا حكى اهل الاسلام عنهم ، حكى زُرقـان فى كتاب المقالات أنّ ارسطاطاليس قـال بهيولى قديم وقوة معه لم يزل وجوهر قـابل للأعراض وأنّ الهيولى حرّك القوّة فحدث البرد ثم حرّكها فحدث الحرّ ثم قبلهما الجوهر قـال وشبّه إحداثَ[2] الهيولى الحركة بإحداث الانسان الفعل بعد أن كان غير فاعل له والفعل عَرَض وهو غير الانسان فكذلـك الهيولى أحدث اعراضًا هى غيره ولا يقال كيف احدثها كما لا يقال كيف حدثت هذه الحركة من الانسان وحُكى [عن] جالينوس أنّه قـال

[1] Ms. افلوطوخس.

[2] Ms. باحداث.

بأربع طبائع لم ينفكّ العالم منها قال وقال سائر الفلاسفة
بـأربع طبائع وخامس معها خلافها لولا هو لما كان للطبائع ائتلاف
على تضادّها قال وقال هرمس [1] بمثل مقالة هولآء فـاثبت
العالم ساكنًا ثم تحرّك والحركة معنىً وهو زوال وانتقال والسكون
ليس بفعل قال وقال بلعم بن باعورآء العالم قديم ولـه مدبّر
يدبّره وهو خلافه من جميع المعانى واثبت الحركات فـقال انّ
الحركة الأُولى هى الثانية معاودة لأنّ من قولـه أنّ الحركة مع
اصل العالم والعالم قديم عنده قال وقال أصحاب الاصطرلاب
بمثل مقالـة بلعم إلّا أنّهم زعموا أنّ العالم لم يزل متحركًا بحركات
لا نهاية لها وأنكروا أن يكون الحركة لها أوّلٌ وآخر لانّها ليست
بمحدثـة قال وقال أصحاب الجُثّة أن العالم لم يزل مصوّرًا قديمًا
جُثْةً مُصْمتةً فـانقلعت الجُثّة وكان الخلق كامنًا فيها فظهر على
نحو ما يظهر فى النطفة والبيضة والنواة قال وقال أصحاب
الجوهرة أنّ العالم جوهرة قـديمة وأحديّة الذات وانما اختلفت
على قـدر التقآء [2] الجوهرة وحركاتها فـإذا كانا جزءين كانا حرًّا

[1] Ms. هومس.

[2] Ms. النقآء.

وإذا كان ثلثة أجزآء صار بردًا واذا كانت اربعة صارت رطوبة وزعم أنّ حركة قبل حركة إلى ما نهاية وقد جمع الناشى مذاهب هولآء كلّهم بلفظة واحدة فقال هم أربع طبقات فطبقة قالت [fº 27 vº] بقِدَم الطينة وحَدَث الصبغة وطبقة قالت بحدث الطينة والصبغة وطبقة شكّت فلم تدرِ أقديمة هى أم حديثة لتكافؤ الأدلّة عندها وقد قال جالينوس وما علىّ أنْ لم أدرِ أقديمة هى أم حديثة وما حاجتى الى ذلك فى صناعة الطبّ ،

ذكر مقالات الثنويّة والحرّانيّة أصل اعتقاد هولآء فى الجملة أنّ المبدأ شيئان اثنان نور وظلمة وأنّ النور كان فى أعلى العُلو وانّ الظلمة كانت أسفل السُفْل نورًا خالصًا وظلمةً خالصةً غير مماسّين على مثال الظلّ والشمس فامتزجا فكان من امتزاجها هذا العالم بما فيه هذا الذى يجمع أصل عقائدهم ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم ابن ديصان ان النور خالق الخير والظلمة خالقة الشرّ بعد قوله بأنّ النور حىّ حسّاس والظلمة موات فكيف يصحّ الفعل من الموات ولما رأى من فنون ما لحق المانويّة والديصانيّة من التناقض والفساد أحدث مذهبا زعم أنّ الكونين النورىّ والظلامىّ قديمان ومعهما شئ

قديم ثالث لم يزل خلافها وخارجًا عن خارجهما وهو الذى حمل
الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المُعدِّلُ بينهما لما
كان من جوهرهما إلّا التباين والتنافر وزعم كنّان أنّ أصل
القديم ثلاثة اشيآء الارض والمآء والنار غير أنّ المدبّر لها اثنان
خير وشرّ ، وامّا الحرّانيّة فمختلف عندهم فى الحكاية زعم احمد
ابن الطيّب فى رسالة له يذكر فيها مذاهبهم أنّ القوم مُجمعون
على أنّ للعالم علّة لم يزل ويقولون المدبّرات سبع واثناعشر ويقولون
فى الهيولى والعدم والصورة والزمان والمكان والحركة والقوّة
بقول ارسطاطاليس فى كتاب سمع الكيان وزعم زرقان أنّهم
يقولون مثل قول المانيّة وقال بعضهم أنّ مذهب الحرّانيّة ناموس
مذهب الفلاسفة وما لم يكن يجسر أحدٌ أنْ يُظهر خلافهم ، وأمّا
المجوس فأصناف كثيرة ولهم هوس عظيم وترّهات متجاوزة
الحدّ والمقدار لا يكاد يوقف عليها فبعضهم يقول بقول الثنويّة
وبعضهم على مذهب الحرّانيّة والخُرَّميّةُ جنسٌ منهم يتستّرون
بالاسلام ويقولون مبدأ العالم نور وانّه نسخ بعضه فاستحال ظلمةً
وامّا اهل الصين فعامّتهم الثنويّة إلى كثير ممّن يليهم من التُرك
وفيهم المعطّلة الذين يقولون بقدم الأعيان وأنّ العالم لا صانع

لـه ولا مدبّر والهنود أصناف كثيرة وتجمعهم البراهمة والسمنيّة والمعطّلـة الأُخرى يقولون بالتوحيد غير أنّهم يُبطلون الرسالـة ومنهم المهادرزيّـة يزعمون أنّ المبدأ ثـلاثـة اخوة أحدهم مهادرز فـاحتال اخواه فى المكر بـه فعثرت بـه دابّته فسقط ميتاً فسلخا جلده وبسطاه على وجه العالم فصار من جلدتـه هذه الارض ومن عظامه الجبال ومن دمآئـه الأوديـة والأنهار ومن شَعْره الأشجار والنبات هذا مـا بلغنا من مذاهب سُكّان الأرض والقدمآء فى هذا الباب وقد أَشرنا إلى فساد مذهبهم ومذهب مَنْ يقول بقدم العالم أو شىء مع الله تعالى بما فيه كفاية وغُنية وهذه الحكايات كلّها ان لم يكن شىء منها زُمرًا أو الغازًا أو تمثيلًا أو روايةً عن كتاب من كتب الله عزّ وجلّ أو رسول من رُسل الله أو بوفـاق ما جآء منهم أو بشهادة العقول قـاطبةً فمردودة غير مقبولة ومحمولة على تمويه واضعها وتزوير مبتدعها وليس فى كثرة التَرْداد والتكرار كثير فائدة ومتى مرّنْتَ نفسك على تحفّظ مسئلة إحداث العالم استغنيتَ عن كثرة الخوض فى الفروع التى بُنِيَتْ على أصل القِدم [fº 28 rº] لانّـه إذا وَهَى البنآء وضعُف لم يَثْبُت فروعُه ولا قـامت أركانه ،

ذكر مقالات أهل الكتاب فى هذا الباب ، قرأتُ فى كتاب
موسوم بشرائع اليهود أنّ جماعةً من علمائهم نهَوْا عن التفحّص
عن هذا الباب والشروع فيه وزعموا انّـه لا ينبغى للانسان أن
يبحث عمّا يتعجّب منه ويخفى عليه وزعم بعضهم انّ الشىء الذى
خلقه الله تعالى فى الابتدآء سبعة عشر شيـاً خلقها الله بلا نُطق
ولا حركة ولا فكرة ولا زمان ولا مكان وهى المكان والزمان
والريح والهوآء والنار والمآء والارض والظلمة والنور والعرش
والسموات ورُوح القـدس والجنّة وجهنم وصُوَر جميع الخلائق
والحكمة قـال ومخلـوقـه ذو جهات ستّ وهو محصور بين
هذه الجهات التى هى الأَمام والخَلْف والعُلْو والسفل واليمين
والشمال وزعم بعضهم أنّ أوّل ما خلق الله سبعة وعشرون شيـاً
فذكر هذه السبعة عشر وأضاف اليها كلام موسى الـذى سمعه
وجميع مـا رأتـه الانبيآء والمنّ والسلوى والغمام والعين التى
ظهرت لبنى اسرائيـل والشياطين واللباس الـذى ألبس آدم
وحوّآء وكلام الجبّار الـذى كلّم بـه بلعام هكذا الحكـايـة
عنهم والمسطور فى أوّل سِفر من التورية بالعبرانيّة * برشت بارا
ايلوهيم اث هشومائم واث هو اورس وهو اورس هو تنو ثوهم

وحوشخ على هى تهوم* يقول أوّل شىء خلقه السمآء والأرض
وكانت الأرض جزيرة خاوية مظلمة على الغَمْر وريح اللّه يزفّ
على وجه الأرض كذا فسّره المفسّرون فلا أدرى كيف خالفته
الحكاية عنهم ضمن التورية ولعلّ ما ذكروه فى بعض أسفارهم
لأنّ التورية مشتملة على عدّة كُتُب من كتب الأنبيآء والله اعلم
وامّا النصارى فدينهم فى هذا دين اليهود لانّهم يقرءون التورية
ويقرّون بما فيها والصابئون محرون فى مذهبهم فأكثر الناس
على انّ دينهم بين دين اليهود والنصارى فإن كان كذلك
فقولهم قولهم وحكى زرقان أنّ الصابئين يقولون بالنور والظلمة
على نحو ما يقوله المنانيّة والله اعلم،

ذكر قول أهل الاسلام فى المبادئ وما جآء من الروايات فيها،
حدّثنا الحسن ابن هشام ببَلَدٍ قال حدّثنى ابرهيم بن عبد اللّه
العَبْسىّ حدّثنا وكيع عن الأعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس
رضى الله عنه قال أوّل ما خلق الله من شىء القلم قال اكتب
فقال اى ربّى وما اكتب قال القَدَر فجرى القلم بما هو كائن من
ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثمّ خلق النون فدحا الأرض
عليها فارتفع بخار المآء ففتق منه السموات فاضطربت النون

فمارت الأرض فـأُثبتت بالجبال وان الجبال تنفجر على الأرض
الى يوم القيامة وحدّثنا عبد الرحمن بن أحمد المروزىّ بمرو حدّثنا
السرّاج محمد بن اسحق حدّثنـا قتيبه بن سعد حدّثنا خالد بن
عبد الله بن عطآء عن ابى الضحا عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه
قـال أوّل شىء خلق الله تبارك وتعالى القلمُ فـقـال له اكتب
مـا يكون الى يوم القيامة ثم خلق نون فكبس عليها الأرض
يقول اللـه تعالى نون والقلم ومـا يسطرون وحدّثنى محمّد بن
سَهْـلٍ باسوار حدّثنـا ابو بكر بن زيّان حدّثنـا دعه عيسى بن
حمّاد [fº 28 vº] عن اللَيْث بن سَعْد عن ابى هانىء عن ابى عبد
الرحمن البجلى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم أنّـه
قال كتب الله نقادِر[1] كلّ شىء قبل أن خلق السموات والأرض
بخمسين ألف عام وقـد اختلفت الروايات عن ابن عبّاس رضى
الله عنه فروى عنه اوّل ما خلق الله القلم وروى عنه سعيد بن
جُبير أوّل ما خلق الله العرش والكرسىّ وروى أوّل ما خلق الله
النور والظلمة وروينا خلاف ذلك كلّه عن الحسن انـه قـال
اوّل مـا خلق من شىء العقلُ ورُوى عنه أوّل مـا خلق الله

[1] Note marginale : كذا فى الأصل .

الأرواح وفى رواية ابى الوليد عن ابى عوانه عن ابى بشرٍ عن
مجاهد قال بدء الخلق العرش والمآء والهوآء وخُلقت
الأرض من المآء وحدّثنى حاتم بن السندىّ بتكريت حدّثنا
احمد بن منصور الرمادىّ عن عبد الرزّاق عن معمر عن الزُهرى
عن عُروة عن عائشة رضى اللّه عنها قالت قال رسول الله
صلعم خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجانُّ من مَارِج من نار
وخُلق آدم كما وصف لكم واما حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن
عطا عن وكيع بن حُرس عن عمّه ابى رزين العقيلى انّه قال
قلتُ يا رسول الله أين كان ربّنا قبل أن خلق السموات والأرض
قال كان فى عمآء ما تحته هوآء ولا فوقه هوآء ثم خلق عرشه
على المآء فإنه ان صحّ وصحّ تأويل من تأوّل العمآء السحاب
والغمام دلّ أن خلق الغمام المذكور فى الخبر والقرآن كان قبل
خلق السموات والارض وقد روى انّ النبى صلعم قال كتب
الله كتاباً قبل أنْ يخلق الخلق بألفَىْ عام [1] ووضعه على العرش
فإن صحّت الرواية دلّ أنّ خلق العرش كان قبل سائر الخلق
وفى كتاب ابى حُذَيْفة عن حبير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضى

[1] Interpolation dans le ms. : سبقَتْ رحمتى غضبى.

الله عنه أنّ الله لما أراد أن يخلق المآء خلق من النور ياقوتةً
خضرآءَ ووصف فى طولها وعرضها وسمكها ما الله به عليم قال
فلحظها الجبّار لحظةً فصارت مآءً يترقرق لا يثبت فى ضحضاح
ولا غير ضحضاح يرتعد من مخافة الله ثم خلق الريح فوضع المآء
على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على متن المآء فذلك
قوله تعالى وكان عرشه على المآء وروى عبد الرزّاق عن معمر
عن الأعمش عن ابن جُبير قال سألتُ ابن عبّاس رضى الله
عنه عن قوله تعالى وكان عرشه على المآء فعلامَ كان المآء قبل
أن يخلق شيأً قال على متن الريح فإن صحت الرواية عن
الضّحاك دلّ أنّ النون قبل خلق المآء وامّا محمّد بن اسحق
فإنّه يقول فى كتابه وهو أوّل كتاب عُمِلَ فى بدء الخلق
لقول الله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستّة
أيّام وكان عرشه على المآء فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى
إذْ ليس إلّا المآء عليه العرش ذو الجلال والإكرام والعزّة
والسلطان فكان أوّل ما خلق النور والظلمة ميّز بينهما فجعل
الظلمة ليلًا أَسْوَدَ مظلمًا وجعل النور نهارًا مُضيأً مبصرًا ثم سمك
السموات السبع من دخان المآء حتّى استقلَلْنَ ثم دحا الأرض

وأرساها بالجبال وقدّر فيها الأقوات ثم استوى الى السمآء وهى
دخان ، لا يختلف أحد من المسلمين ومَنْ يدين الله بالكتاب
والرسالة انّ ما دون الله تعالى مخلوق مُحدَث وإن لم يذكر
خلقه وإحداثه وانّما مرادنا أن نعرف أوّل ما خلق الله منه إن
كان ذلك ممكنًا منه اختلف الرُواة عن وهب بن منبّه وغيره
من منى [f° 29 r°] أهل الكتاب فروى عن عبد الله بن سلام أنّه
قال خلق الله نورًا وخلق من ذلك النور ظلمةً وخلق من
تلك[1] الظلمة نورًا وخلق من ذلك النور مآء يخلق من
ذلك المآء الأشياء كلّها وعن وهب بن منبّه قال وجدت
فيما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلم أنّ الله لمّا أراد
خَلْق الخلق خلق الروح ثم خلق من الروح الهوآء ثم خلق
من الهوآء النور والظلمة ثم خلق من النور المآء ثم خلق النار
والريح وكان عرشه على المآء وسمعتُ بعض الشيعة يزعمون أنّ
اوّل ما خلق الله نور محمّد وعلىّ ويروون فيه رواية والله اعلم
بحقّها وقد ذكرت حكمآء العرب ومن كان يدين الله
منهم بدين الانبيآء فى أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق

[1] Ms. ذلك.

فمنه قول عدى بن زيد العبادىّ وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب [بسيط]

اسمع حديثًا لكى يومًا تجاوبه عن ظهرغيب إذا ما سائلُ سألا
ان كيف أبدى إلهُ الخلق نعمته فينا وعرّفنا آياته الأُولا
كانت رياحًا ومآءا ذا عُرانية وظلمةً لم يدع فتقًا ولا خللا
فأمر الظلمة السَوْداء فانكشفت وعزل المآء عمّا كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطًا ثمّ قدّرها تحت السمآء سوآءا مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصيرًا لاخفآء به بين النهار وبين الليل قد فضلا
قضى لستّة أيّام خلائقه وكان آخر شىء صوّر الرجُلا

وقد حكى الفُرس عن علمآء دينهم وموبذيهم أوّل ما خلق الله السموات والأرض ثم النبات ثم الانسان،

ذكر تصويب أرجح المذاهب، أقول انّ رأىَ من رَأى تقديم[1] أحد الأركان على غيره هو مُحتلّ واهٍ لأنّهم يختلفون فى الاستحالة والفساد وكيف يصحّ على رأى تاليس المآء وهو عنده مستحيل من الأرض وعلى رأى يراقليطس[2] النار وهى مستحيلة عنده

[1] Ms. بقدم.   [2] Ms. براطيطس.

من الهوآء وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولّد
حيوان أو تركّب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع
فيها لأنّ ما تفرّد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعيّة
أو من زعم بابتدآء البسائط ثم العناصر المركّبة فإنّه يفحش قوله
لأنّ البسائط أعراض لاتقوم بذواتها ولا بُدَّ لها من حامل فكيف
يصحّ وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة
لأنّهما عرضان لا جسمان والأصحّ على مذهب هولآء ما رأى
انبادقليس من تقدّم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند
المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضًا فإن كانت
أعراضًا فالعرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجسامًا وحدُّ الجسم
ما ذكرناه واثر الحدث مقارن له أو يكون لا أجسامًا ولا اعراضًا
فهذا غير معقول عند المسلمين إلّا البارئ جلّ جلاله فانّه
خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن [fº 29 vº] اجسامًا
ولا أعراضًا عندهم فلا بُدّ أن يكون هو الهيولى الموهوم فى
مذهبه وهذا شيء لو كان موهومًا لما جاز وقوع الاختلاف
فيه إلّا مِن مُعاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف فى المعقول إلّا
من معاند مع أن الوهم لا يحصر ما لا حدّ له ولا صفة من

لَوْن أو مقـدار أو شىٔ من الأعراض المحسوسة وجملـة هـذا
القول فى هذا الباب مراعاة اثر الحدث فيما سوى البارئ جلّ
جلالـه فـاذا ثبت ذلـك عُلم أن ما كان محدثًا فلا بُدّ له من
ابتدآء واذا كان لا يقول بحدث العالم إلّا الموحّدون لم يوجد
ابتدآء ذلك إلّا من جهتهم وهم يختلفون فى الرواية عن علمآئهم
فى الظاهر ومتّفقـون فى المعنى إذا انعموا النظر فـامّـا اهـل
الكتاب وما حُكى عنهم فمحتمل غير أنّه لا يجوز القطع بـه
ما لم يصدّقه كتابنا أو خبر نبيّنا صلعم لما وقع فيهم من التحريف
والتبديل ولأنّه خلاف ما ذكر فى اوّل التورية فى ابتدآء الخلق
فـالذى يوجبه العقل أن يكون مكان كلّ متمكّن سابق له وان
لا يحل حركة إلّا فى جسم ولا يوجد إلّا فى زمان وان لا يصحّ
فعل اختيار وتدبير إلّا من حىّ عالم وان لا يحدث شىء إلّا من
شىء وانّ الأركان الاربع سابقة للأجسام فمن قـال بقدم هذه
المذكورات دخل فى جملة المخالفين ونقضت عليه آثار الحدث فيها
ومذهبه ومن قـال بحدثها فما حاجته الى تقديم ما قـدّم منها
وقـد أقرّ بأنّ الله أحدث الزمان من غير زمان والمكان فى
غير مكان والاركان من غير أركان اللهمّ إلّا ان يُعمد فيه شيـًٔا

من كتب الله فليس يجد فى كتاب أوّل ما خلق ما هو فيقضى
على ما خالفه بالردّ والإنكار ولابُدّ لكلّ حادث من غاية ينتهى
إليها كقولنا الساعة من اليوم واليوم من الاسبوع والاسبوع
من الشهر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من
الدهر فقد انتهى الى الزمان والزمان غايته وكما نقول فلان من
فلان وفلان من فلان كما ترفع مثلًا نسب رسول الله صلعم الى
آدم ثم يقال وآدم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر
الاشيآء الحادثة لابُدّ لها من غاية هذا ما يعاينه ويشاهده
فلذلك وضعنا ما روينا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال
فقد ذهب بعض أهل الاسلام الى أنّ أوّل ما أحدث الزمن
العلويّ وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السُفلى الذى هو من
حركات الفلك ثم المكان الذى هو غير متجزّئ ولا متماسك
وهو فضآء وبسيط ذاهب خلآء مُحيط بالعالم قال وليس الهوآء
من الفضآء فى شىء لأنّ الهوآء جسم متجزّئ ومنتشر وليس
الخلآء بمتجزّئ ولا محسوس ومعنى قوله التجزّئ انّ الخلآء لا
يدخل العالم منه شىء الا يتخلّله بتّةً والهوآء ما بين السمآء
والأرض ولا يخلو منه شىء والخلآء ما فيه السمآء والأرض

والهوآء ثمّ الأجسام بأعراضها كذا رأيت فى بعض كتبهم
والله اعلم فاذا سأل سائل عن ابتدآء الخلق فجوابه أنّ ما
دون الله مخلوق نِعْمَ سوألك عن العالم العُلوىّ أم العالم السُفْلىّ
أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الفانية [fº 30 rº] لأنّ كلّ
شىء من هذه الاشيآء ابتدأ منه ابتدآءٌ ونشوٌ فإن قيل هل
غير الدنيا والآخرة شىء قيل العرش والكرسىء والملائكة
واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلّها ولا تعدّ[1] من
الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنّة والنار والصراط والميزان
والصُور والأعراف والرحمة والعذاب مخلوقة عند كثير من
الأُمّة ثمّ من بعدهم من أهل الكتاب ولا يُعدّ من الدنيا
ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فللّه الآخرة
والأولى ولم يذكر شيأً غيرهما قيل ولِمَ يذكر الاشيآء
غيرهما مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه للّه الحكم فى
الآخرة والأولى وقد قال رسول الله صلعم ما بعد الموت
مستعتب ولا بعد الدنيا إلّا الجنّة والنار لانّه لا شىء غيرهما
وانّما يصحّ هذا اذا عُرفت الدنيا والآخرة ما هما على انّه لا عتب

[1] Ms. يعدّ.

على من عدّ ما ذكرناه من أمر الآخرة ولا مضايقة فيه بعد أن اعتقدها كما جاءت به كتب الله وينبغى أن يعلم أنّ كلّما دون الدنيا روحانىّ حيوانىّ خُلق للبقاء والخلود على الأبد لا يجوز عليه الانحلال والدثور بقول الله تعالى وإنَّ الدار الآخرة لهى الحيَوَان لو كانوا يعلمون ،

ذكر أوّل ما خُلق فى العالم العلوىّ من الحيوانات يدلّ على أنّ أوّل ما أوجده الله تعالى القلم واللوح على رواية ابى ظبيان عن ابن عبّاس ثم العرش والكرسىّ على رواية مجاهد وقد قال قائلٌ أنّ أوّل ما خُلق الروح والعقل على رواية الحسن لأنّ فى رواية ابن عبّاس انه قال للقلم اكتب فقال اى ربِّ وما اكتب والأمر فى الحقيقة والجواب لا يصّح الّا من حىّ عاقل قال ثم الحجب ومنها الغمام والنور والملائكة ثم الرحمة والعذاب يعنى الجنّة والنار والصراط والميزان وغير ذلك ممّا ذُكر وأوّل ما خلق فى العالم السفلىّ من الحيوانات المآء والهوآء كما قال مجاهد وخُلقت الأرض من المآء فهذه أركان العالم ثم النور والظلمة ومن الناس من يفرق بين النور العلوى

والنور السفلى بأنّ هذا جسم لطيف وذلك روح خالص مع
اختلافهم فى الروح أجسم هو أم غير جسم وسيمرّ بك فى
بابه مشروحًا مفسّرًا ان شاء الله عزّوجلّ فاذا سأل سائلٌ
مِمَّ خُلق الخلق قيل ان الخلق اجزاء مختلفة فعن أىّ جزء
من اجزآء الخلق سؤالك ولن يجاب حتّى يشير الى ما
أَردنا فإن سأل عن الأرض قيل من زبد المآء كما جاء
فى الحديث والخبر وان سأل سائلٌ عن السمآء قيل من
دخان المآء وان سأل عن الكواكب قيل من ضوء النهار
وان سأل عن الأركان المركّبة قيل من البسائط المفردات
وان سأل عن البسائط قيل يمكن أنّ يكون خُلقت ممّا
خُلق قبلها ويمكن ان يكون خلقت لا من شىء لانّا نرى الله
يخلق الشىء من الشىء ويخلق من لا شىء وقد دلّلنا على أن
لا شىء غير الله تعالى إلّا مخلوق وانّ الله ابتدعه بَدِئًا
لا من شىء كما شاء ما لا حاجة الى إعادة القول فيه
بقول الله تعالى بديع السموات والأرض وقال الله خلق كلّ
دابّة من ماءٍ وقال الله خلقكم من نفس واحدة وقال
خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجانّ من مادج

من نار مع سائر ما وصفْتُ انه خلقه من خلقٍ خَلَقه قبلَه
[f° 30 v°] وكذلك يفعل الشئ بسبب ويفعله بلا سبب موجب
قال الله تعالى وانزل من السمآء مآءً فاخرج به من
الثمرات رزقًا لكم فأخبر عزّ رجلّ انه جعل سبب
اخراج الثمر والنبات إنزال المآء وكذلك جعل سبب
كون الانسان النطفة وسائر ما يوجده ويحدثه وقد
أوجد أُمّهات هذه الاسباب بغير سبب موجب لها بل بقدرته
وحكمته وان سأل سائل فِيمَ خلق قيل فِيمَ سؤالٌ عن
المكان ولا مكان الّا وهو مفتقر الى مكان وقد سبقت
الدلالة على فساد الحلول بما ليست له نهاية فلو قال
القائل أنّ العالم لا فى مكان لكان قولًا لأنّه ليس بأعجب
من إقراره بإيجاد الأعيان لا من غير سابقة وقد قيل
انّه فى خلآء وهو مكان له وزعم آخرون أن العالم بعضه
مكان لبعض وفى كتاب وهب بن منبّه ان السموات والجنّة
والنار والدنيا والآخرة والريح والنار كلّها فى جوف الكرسىّ
فإن صحّت الرواية كان الكرسىّ مكانًا لهذه الأشيآء واللّه
اعلم وأحكم،

وان سأل كيف خلق قيل كيفَ سؤالٌ يقتضى التشبيه فى
الجواب وليس نعلم العالم مثلاً غيره فنشبّهه به ولكنّا مشاهدين
له عند احداثه ولا فعل الله تعالى بحركة ولا معالجة والكيفيّة
منتفية عن فعله كما هى منتفية عنه سبحانه فإن اردتَّ كيف
أوجده من عدم فكيف تراه اجساماً وجواهر حاملة للأعراض
قال له كن فكان كما أخبرنا عنه وإن اردتَّ شكلاً وهيئةً
لفعله فهذه من حالات الأعراض التى تتعاقب على المخلوقين
فإن سأل سائل متى خُلق قيل متى سؤالٌ عن المُدّة والوقت
من الزمان والمدّة عندنا من حركات الفلك ومَدَى ما بين
الأفعال وقد قامت الدلالة على حدث الفلك ولا يُطلق
المسلمون القول بأنّ الله تعالى لم يزل يفعل لانّ ذلك يوجب
ازليّة الخلق ويؤدّى الى قول من يرى المعلول مع العلّة حتى
يكون بين فعل سابق له الى انّ فِعْل العالم مُدّةً وقد زعم بعض
الناس أنّه أحدث زماناً أوجد فيه العالم كمن قال انّه احدث
مكاناً أوجد فيه العالم فقال قومٌ الزمان ليس بشىء وإن سأل
سائل لِمَ خلق قيل لِمَ سؤالٌ عن العلّة الموجبة للفعل وفاعل
ذلك مضطرّ غير مختار والمضطرّ مقهور مغلوب ولا يجوز ذلك فى

صفة القديم فإن اردتَّ بالعلّة الغرض المقصود فى الخلق فهو
ما ذكرناه فى اوّل هذا الفصل انه خلق الخالق لرأفته
ورحمته وجوده وقدرته لينفعهم وليأكلوا من رزقه وليتقلّبوا
فى نعمته ويستحقّوا شرف الثواب بطاعته ،

الفصل السادس

فى ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسىّ والملائكة والصُور والصِراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب والحُجب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ من أُمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها ،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى فى محكم كتابه نٓ والقلم وما يسطرون وقال فى كتاب مكنون لا يمسّه الا المطهّرون وقال وكلّ شئ [fº 31 rº] احصيناه فى امام مبين وقال ما فرّطنا فى الكتاب من شئ وقال فى لوح محفوظ قال أكثر المفسّرين انّه لوح وقلم خلقهما الله كما شآء وألهم القلم أن يجرى بما أراد وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة واسطةً بينه وبين رُسُله ورسلَه واسطةً بينه وبين خلقه وهذا لا يختلف فيه موحّدٌ ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النصّ من الكتاب والسُنّة فإن خطر خاطرٌ بأنّه أيةُ فائدة فى اللوح والقلم فليقل له بأنّ أسرار حكمة الله عزّ وجلّ عن العباد محجوبة إلّا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس إلا التصديق به والاستسلام له لقول الله عزّ وجلّ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب واعلم ان الكلام فى هذا الفصل مع من يؤمن باللّه وملائكته وكُتُبه ورُسُله لأنّ هذا سبيله سبيل الخبر والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبةً قد تلقّوه بالقبول وقد قال قائلٌ أنّ اللّه تبارك وتعالى لمّا أراد ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم به فى اللوح وروى فيه اخبار مسطّرة فى كُتب أهل الحديث رضينا بما صحّ منها واستسلمنا له وجآء فى ذلك القلم أن طوله ما بين السمآء والأرض وأنه خلق من نور وفى صفة اللوح أنّه لوح محفوظ طوله ما بين السمآء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب معقود بالعرش يصُكّ ما بين عينَىْ اسرافيل وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يحدث فى خلقه شيأً قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يمحو اللّه ما يشآء

ويثبت وعنده أمّ الكتاب فيأمر بـه جبرئيـل أو من يليه من
الملائكـة وأكثر أهل الدين على أنّ البارئ لا يُسْمَع كما أنّـه
لا يُلْمَس وإنّما يُسْمَع كلامُه كما يلمس خلقُـه هذا قول أهل
الإسلام وقـد ذهب قومٌ من المتسترّين بالـدين إلى تـأْويلات
مكروهات مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقـلُ لأنّـه
دون البارئ جلّ وعزّ فى الرتبة وجرى بنفسه لأنّ العقل يدرك
الاشيآء بغير واسطة قـال ومعنى اللوح المحفوظ النفسُ لأنّـه
دون العقل فى الرتبة يـدبّرها العقل كما جرى القلم فى اللوح
المحفوظ وزعم ان القلم واللوح غير محدَثين ولا مخلوقين وقـد
دلّلنا على حَدَث العقل والنفس فى الفصل الثانى بما يجرى عليهما
من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقلة [1] والتجزّى بتفرّق
الهيا كل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة
النفس الى الغذاء والقوام ما فيه كـفـايـة وبلاغ وذلـك أنّ
القـديم البـارئ لا يجوز عليـه شئ من هذه العوارض وزعم
آخرون ان اللوح هو العالم السُفلىّ والقلم العالم العُلوىّ يؤثر فى
السفلىّ وبعضهم يزعم أنّ القلم هو الروح واللوح الجسد وأهْوَن

[1] Ms. والنقلة.

الأمور انكار اللوح والقلم وسائر مـا وصف من أمر الآخرة والـدخول فى الإلحـاد المحض حتّى يقع الكلام معهم من حيثُ ينبغى أن يقع لأنّ هذه الاشيآء من شرائع الأنبيآء عليهم السلم فكما لم يوجبها العقـل فكـذلـك لا يردّ تـأويلها إلى العقـل بل تسلّم كما جآءت ، وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما انّ الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا من دُرّة بيضآء دفّتـاه ياقوتـة حمرآء قلمه نور وكـلامه برّ [fº 31 vº] ينظر اللّـه فيه كلّ يوم ثلثمائـة وستّين نظرة يُحيى بكلّ نظرة ويُميت بكلّ نظرة ويرفع ويضَعُ ويُعزّ ويُـذلّ ويخلق ما يشآء ويحكم ما يريـد والله اعلم واحكم وقـد دلّلنا لـك أنّ كلّ مـا كان من امر الآخرة فروحانىّ حيوانىّ وإن شارك جسمانيًّا فى الأسامى فمن ذلـك قوله دُرّة بيضآء وياقوتـة حمرآء ،

ذكر العرش والكرسىّ وحملـة العرش قـال اللـه تبـارك وتعالى وترى الملائكـة حافّين من حول العرش وقـال ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية فذكر العرش فى غير موضع من كتـابـه وقـال وسع كرسيّه السموات والارض فلم يجز وقوع الاختلاف فيـه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتـاب وانّـما اختلفـوا فى

التأويل فقال بعضهم أنّ العرش شبه السرير واستدلّوا على قولهم بقوله أيّكم يأتينى بعرشها وبقوله ورفع أبويه على العرش وكثير من أهل التشبيه يذهب الى انه كالسرير له وهو مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب بدينهم يدلّ عليه قولُ أميّة بن ابى الصلت [كامل]

شدّ القطوع على المطايا ربّنا كلٌّ بنعمآء الإله مقيَّدُ
فاصحن[1] وافترش الرحائل شَرْجَعٌ نُفح على اثباجهنّ مؤكّد
بفصوص ياقوتٍ وكظٌّ بعرشه هولٌ ونارٌ دونه تتوقّد[2]
فعلَا طُوالات القوائم فَاستوى فوق الجلود ومن أراد مخلّدُ

وقال ايضًا [خفيف]

مَجّدُوا اللّهَ وَهوَ للمجْد أَهلُ ربُّنا فى السمآء أَمسَى كبيرا
ذلك الُمنشئ الحجارة والمَوْ تَى وأَحياهُمُ وكان جديرا
بالبنآء الأَعْلى الّذى سبق النا سَ وسوَّى فوق السمآء سريرا
شرجعًا لا يناله بَصَرُ النا س ترى دونه الملائكَ صُورا

[1] Note marginale : كذا فى الأصل.

[2] Ms. يتوقد.

وقال لبيد [كامل]

لله نافلة الأجلّ الافضل ولـه العُلَى ولبيتِ كلّ مُؤَثَّلِ

سَوَّى فأَغلق دون غرفة عرشه سَبْعًا طباقًا دون فَرْعِ المَعْقِلِ

وقال كثير من المسلمين أنّ العرش شىءٌ خلقه الله لمنتهى علم عباده وتعبّد الملائكة بتعظيمه والطوافِ حَوْلَهُ ومسئلتِهِ الحوائج عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها والصلوة[1] له اليها لا أن يكون ذلك مكانًا له أو حاملًا جلّ وتبارك البارئ ان يكون محمولًا او محدودًا او مُحاطًا وبعضهم يقول العرش المُلْك ويتأوّل قوله الرحمن على العرش استوى قال استولى على الملك واحتجّ بقول الشاعر [طويل]

اذا ما بنو مروانَ ثَلَّتْ عُروشُهم وأَوْدَتْ كما أَوْدَتْ إِياد وحِميرُ

[f° 32 r°] واما الكرسىّ فخلقٌ مثل العرش وقد رُوينا عن الحسن أنه قال الكرسىّ هو العرش وجآء فى بعض الروايات أنّ الكرسىّ بين يدى العرش كدرّة بأرض فلاة والسموات السبع

[1] Ms. الصلاة.

والأرضون السبع وما فيها بجنب الكرسىّ كحلقة من حلق الدرع فى أرض فيحآء ومن المسلمين خَلْقٌ كثير يذهبون إلى أنّ الكرسىّ هو العِلْم واستدلّوا بقوله تعالى وسع كرسيّه السموات والأرض قالوا معناه أحاط علمُه بها وبما فيها والكراسى العلمآء وانشدوا بيتًا [طويل]

تَحُفُّ بهم بيض الوجوه وعُصبَةٌ كراسىّ بالاحداث حين تَنُوب

وقد روى أصحاب الحديث أنّ الكرسىّ موضع القَدَمين واللّه أعلم بصدقه وتأويله إن صحّ لأنّ مذهبنا تسليم ما قصُر عنه علمنا ، وأمّا حملة العرش الملائكة خُلِقوا لذلك فيُوصَف من اقدارها واجسامها ما اللّه به عليم قالوا وهم اليوم اربعةٌ وجهُ أحدهم على صورة وجه النسر والثانى كوجه الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجُل فإذا كان يوم القِيٰمة ضُمَّتْ إليهم أربعة أُخرى بقول اللّه سبحانه ويحملُ عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانيةٌ وفى رواية ابى اسحق أنّ رسول اللّه صلعم أنشد قول أُميّة بن ابى الصلت [كامل]

حبس السرافيل الصوافى تحته لا واهنٌ منهم ولا مستوغِدُ
رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْل يمينه والنسرُ للأخرى وليثٌ مرصدُ

فقال عليه السلم صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها وقد يستدرج أهل الزيغ الاغمار من الاحداث بالأوّل والثانى والثالث والرابع يعنون بالاوّل القلم وهو عندهم العقل وبالثانى اللوح وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك المستقيم والضابط للأفلاك وبالرابع الكرسىّ وهو فلك البروج عند بعضهم لأنّ المنجّمين مختلفون فى هذا التقسيم والملائكة الّذين هم حملة العرش الأركان الأربع وهذه الاشيآء عندهم لم يزل ولا يزال فكيف يصحّ الخبر عنها بالأوّل والثانى والثالث لأنّ كلّها أوائل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من عارضهم من المشبّهة بأنّ العرش ممهَّد والكرسىّ مُسْتَقَرّ القدمَيْن مع وفاق ظاهر اللفظ لتأْويلهم لبُعده عن تأويل الزائغين لانّا لم نجد شيأً فى كتب المنجّمين وأهل الطبائع بأنهم سمّوا العقل قلماً والنفس لوحاً والفلك عرشاً يعرفونها باسمآئها المشهورة عند سامعيها ونعوذ بالله من الخزلان والحرمان وسوْ الاختيار والعجز عن إتّباع الحقّ،

فى ذكر الملائكة وما قيل فى صفاتها ، روى المسلمون أنّ الملائكة خُلقت من نور وذكر ابن اسحق أنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ اللّه خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد فى معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرَيْن بأن ملائكة الرحمة خُلقوا من نور وملائكة العذاب خُلقوا من نار ولا نعلم أحدًا ممّن يدين الله بدين إلّا وهو مُقِرّ بالملائكة وان كانوا مختلفين فى قِدَمها وحدوثها وهيئاتها فمنه قول أُميّة بن ابى الصلت [كامل]

يتنابه المتنصّفون بسُجرةٍ — فى ألفِ ألفٍ من ملائك[1] يحشدُ

[fo 32 vo] رُسُلٌ يجوبون السمآء بأمره — لا ينظرون ثوآءَ مَنْ يتقصّدُ

فهُمُ كأوب الريح بينا أدبرَتْ — رجعت بوادى وجهها لاتكردُ

حُذّ مناكبهم على أكتافهم — زُفّ يزفّ بهم إذا ما استنجدوا

وإذا تلاميذ الإله تعاونوا — غلبوا ونَشّطهم جناحٌ مُعْتَدُ

نهضوا بأجنحة فلم يتواكلوا — لا مُبطئٌ منهم ولا مُسْتوغدُ

واختلف المسلمون فى عدم البصر والحواسّ لهم فمن قائل أنّ

[1] Ms. ملائكة.

البصر يفقدهم[1] للطافة أجسامهم واجزآئهم لا لونَ لها البصر
لا يدرك إلّا ذا لونٍ وكذلك قالوا أليس نحسّ بها وهى معنا
حَفَظة علينا والهوآء أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنّا
لا نُحِسّ به حادثًا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيّين
الذين هم ألطف وألطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به
من صفة اللـه إيّاهم فى كتابه بالغلظة والشدّة فقال
ملائكة غلاظ شداد وما جآء من عظيم صفاتهم وعُظم
أجسامهم وان الملك كان يأتى النبىّ صلعم وعلى آله فى صورة
الرجل وكذلك سائر الانبيآء انه غير منكر ان يُحدث الله
تعالى فى الملك شيئًا ومعنًى يُرى ويُشاهَدُ إذا أراد ذلك كما
يحدث فى الجوّ فيتركّب وينعقد غمامٌ من أجزآء الهبآء لا يدركها
البصر ثم ينحلّ ويتفرّق حتى لا يُرى كما كان أوّلًا وكذلك
حال الجنّة والشياطين وسائر الروحانيّين من الخلق وايضًا فانّ
الملك سُمّى هذا الاسم لدُؤُوبه فى الطاعة وانقياده لِما يُراد
منه تخصيصًا وتفضيلًا فغير بعيد ان يكون الملائكة أصنافًا
روحانيًّا وجسمانيًّا ونامِيًا وجامدًا وقد جآء فى بعض الأخبار أنّ

[1] Ms. نتقدهم.

الرعد مَلَك والنار ملك والملائكة يسجدون جنودُ الله ورُسُله
وسفرآؤه واوليـآؤه بقول اللّـه عزّ وجلّ وللّـه جنود السموات
والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود
الله ألا ترى أنّـه لمّا بلغ معاويـة انّ الاشتر قد أُمِرَ فسُقِى سمًّا
فى سَوِيق وعَسَل قـال مـا أبردها على الفؤاد إنّ للّـه جنودًا
من عسل وقيل الأرض ملك والسمآء ملك حتّى عدد اكثر
أجسام العالم واحتجّوا بقول اللّـه عزّ وجلّ قـالتا اتينا طائعين
والقـول هو الأوّل فـإن كان جائزًا إطلاق اسم الملـك على
هذه الأشيآء فيكون مجازًا لا حقيقـةً ،

ذكر اختلاف الناس فى الملائكة مـا هى أمّا المسلمون وأهل
الكتاب فيقـولون هم خلق روحانيّـون كما ذكرناه آنفًا
وكان مشركوا العرب يزعمون انّ الملائكة بنـات اللـه وانـه
صاهر الجنّ فولدت له قـال الله تعالى وجعلوا اللـه شركآء الجنّ
وخلقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثًا وقـالت
الحرّانيّـة الملائكة النجـوم وهى المدبّرات للعالم وهو أحدث
الباطنيّـة فزعمت انّها سبعة واثنا عشرة وتـأوّلت قولـه عليهـا
تسعة عشر والخُرَّميّـة يُسمّون رُسُلهم الـذين يتردّدون فيما بينهم

ملائكة وامّا المجوس فلا يُنكرون الملائكة وانهم خلق
غائب عنهم ويسمّونهم شتاسبندان فى ملّتهم الإقرار بهم
والتصديق وزعم قوم انّ الملائكة هى النفوس الصافية وذلك
انّ الإنسان اذا بالغ فى الارتياض [fo 33 ro] بمعرفة حقائق
الاشيآء واجتهد فى اقتنآء الفضائل واختيار المحامد اتّصل بالعالم
العلوىّ فصار عند مفارقة الهيكل عقلًا خالصًا ونفسًا صافيةً
فيسمّونه حينئذٍ المَلَك قالوا واقصى الدرجات فى الأسفل
النبوّة وهى تُنال بالعلم والعمل وفى الأعلى الملائكة وهى
ينالها مَن نال النبوّة فى الأسفل وزعمت فرقة أنّ الملائكة
أبعاضٌ من الله واجزآءٌ وعندهم أنّه تبارك وتعالى شىءٌ بسيط
روحانىّ وسمّاهم أُميّة فى شعره تلاميذ اللّه وأعوانه مع
مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب ممّا يُدرك بالعقل
ولكنّه يُعرَف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لردّ ما سبيله
الخبر إلى غير الخبر،

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدىّ أنّ النبىّ
صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال ألَا أُحدّثكم عن مَلَكٍ
من ملائكة الله أذن لى ربّى فى الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إنّ للّه ملكًا قد نفذ بقدمه الارض السُفْلى ثمّ
خرج من هوآء ما بين ذلك حتّى أنّ هامته لتحت العرش
والذى نفس محمّد بيده لو سُخّرت الطير فيما بين عُنُقه الى
شحمة أُذنه لحففت فيه سبعمائة عام قبل أن يقطعه وروى ابن
جُريح عن عكرمة عن ابن عبّاس رضى الله عنه أنّ النبىّ صلعم
قال لجبرئيل إنّى أُحبّ أن أراك فى صورتك الّتى تكون عليها
فى السمآء قال لا تقوى على ذلك قال بلى قال فأين
تُحب أن أتخيّل لك قال فى الابطح قال لا يسَعُنى قال
بعرفات قال ذلك بالحَرَى فواعده[1] ذلك وخرج النبىّ
صلّى الله عليه وعلى آله وسلم للوقت فاذا هو بجبرئيل قد اقبل
من جبال عرفات وقد ملأ بين المشرق والمغرب وسدّ الخافقين
رأْسُه فى السمآء ورجلاه فى الأرض وله كذا ألف جناح ينتثر
منها التهاويل فلمّا رآه النبىّ صلعم خرّ مغشيًّا عليه فتحوّل جبرئيل
عن صورته الى صورة التى كان يأتيه فيها وهى صورة دُجية
الكلبىّ وهو ابن خليفة بن فروة الكلبىّ فضمّه الى صدره
فلمّا أفاق قال ما ظننتُ أن لله تعالى خلقا يشبهك قال يا

[1] Ms. فواعداه.

محمد فكيف لو رأَتَ اسرافيـل رأسه من تحت العرش ورجلاه
فى تخوم الأرض السابعة وان العرش لعلى كاهلـه وانـه ايتضال
احيانًا من مخافـة الله تعالى حتّى يصير كالصعوة وما يحمل عرش
ربّـك إلّا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قـال انّ لله
ملكًا البحار كلّها فى نقرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال
ان لله ملكًا السموات على منكبه يـدور بها كما تـدور الرحا
وعن ابن مسعود رضى اللـه عنـه فى صفـة ملائكة العذاب
قـال مـا منهم ملـك الّا ولو أمره اللـه أن يلتقم السموات
والأرض وما فيهما من شئ لهان ذلـك عليه لما عظّم الله من
أجسامهم وقد جآء فى صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
وصفـة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملـك الموت وغير هولآء[1]
من الملائكة ما يعتقد المؤمن الإيمان بـه والتسليم لـه وجآء
فى صفة حملة العرش انّهم ملائكة قـدرُ قَدَم أحدهم مسيرة
سبعـة ألف سنـة ولهم قرون كقرون الوعول وقيـل العرش
على كواهلهم وقيل على مناكبهم ناشية فى العرش واللـه أعلم
وأحكم ، وروى ابو حُذيفة عن مقاتل عن عطآء انّ اللـه يبعث

[1] Ms. هاولآء.

جبرئيل كلّ يوم الى جنة العدن فيغمس بجناحَيْه فى نهرها ثمّ يجىء فينفُضها [fo 33 vo] فيسقط من كلّ جناح سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكًا قال وما يقطُر من السمآء الى الأرض قطرة الّا ومعها مَلَكٌ ينزل الى الأرض ثم لا يعود اليها قال وما فى السموات موضعُ شبرٍ إلّا وفيه مَلَك قائم أو ساجد او راكع لم يرفع رأسه منذ خُلِقَ فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه فيقول سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك قال ولله ملك موكّل بالبحار فاذا وضع قدمه فى البحر مدّ واذا رفعها جزر قال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالة واسرافيل ملك الصُور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق ورُوى عن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه انّه قال الرعد ملك موكّل بالسحاب يسوقه من بلد الى بلد معه كذا من حديد كلّما خالفت سحابة صاح بها والبرق مصعه السحاب به وروى ابن الأنبارىّ فى كتاب الزاهر انّ السحاب ملك يتكلّم بأحسن الكلام ويبكى ويضحك والرعد كلامه والبرق ضحكه والمطر بكاؤه وعن كعب لولا انّ الله وكّل بطعامكم وشرابكم فى نومكم ويقظتكم مَن يذبّ عنكم ليحفظكم بقول الله تعالى له مُعَقّبات

من بين يدَيْه ومن خَلْفه يحفظونـه من أمر [الله] وروى هشام
ابن عمّار بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيد بن سلمة عن
ابان عن انس رضى اللـه عنـه انّ النبىّ صلعم قـال انّ للّـه
ملكًا لـه ألف رأس فى كلّ رأس ألف وجه فى كلّ وجه
ألف فم فى كلّ فم ألف لسان يُسبّح الله ويُقدّسه كلُّ
لسان بـألف لغة من التسبيح فهذا ومـا أشبهه موقوف على
صحّة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن البارئ سبحانـه
وتعالى شئ ومـا عسى أن يقولـه قـائل وهو مُصَدق بابتداع
الله أعيان هذا العالم لا من عين سابقـة فمن لم يعجز عن هذا
فليس عن أعجب منـه بعاجز واذا كانت أحوال الملائكة كما
وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع
ما حُكى عنهم وقـد قيل الريح ملك وقيل من نَفَسِ مَلَك
وأذكُرُ أنى حاجّنى رجل من البهافريديـة [1] وهم صنف من
المجوس أطلبهم للخير وآلفهم عن الاذى فى دفننا موتانا ما تعنينا
بذلـك فقال انّ الأرض مَلَكٌ وانتم تلقمونـه الموتى فكيف
تستحسنون ذلـك وقـد يرى بعض النـاس انّ الشياطين كلّ

[1] Ms. البهاقردية.

شرّير داعر[1] والملك كلّ خير فاضل ومذهب الدنابير ما حكيناه ووصفناه ،

القول فى الملائكة أمكلّفون أم مجبورون وهم أفضل أم صالحو المسلمين قال قوم هم مضطرّون الى افعالهم مجبورون عليها ورُوى عن ابن عبّاس انّه قال فى قوله يُسبّحون الليل والنهار لايفترون ان التسبيح لهم بمنزلة النفس لنا وقال آخر هم مكلّفون مجبورون لأنّ الله تعالى يقول ومن يقل منهم إنى إلهٌ من دونه فذلك نَجْزِيه جهنّم ولايصحّ الوعيد على غير المقدور عليه وقد قال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون فدلّ هذا القول منهم على اختيارهم وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولولم يكونوا قادرين على المعصية لما كان يمدحهم بترك المعصية ومعنى قوله يسبحون الليل والنهار لايفترون مدح لهم على المواظبة على الطاعة أو لا يقطهم عنها ما يقطع الناس من الحوائج والأشغال وقول ابن عبّاس رضى الله عنه انّ

[1] Ms. marg. كذا فى الأصل.

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [f° 34 r°] فى سُرعة المؤاتاة والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقريب المنزلة ورفع الدزجة وآخر انه زيادة القوّة على الطاعة وتجديد الجِدّ والنشاط فى العبادة وآخر انه اخدامهم أهل الجنّة وليس الثواب كلّه المطعمُ والمشربُ لانهم ليسوا بذوى أجسام مجوّفة فيُلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المجوّفة وقد قيل أنّ ثوابهم ان يستجيب دعآؤهم فى الموحّدين وذلك قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شىء رحمةً وعلمًا الآيةَ فطاعتهم مذ خُلقوا ان يستجاب فى الموحّدين ولهم مسئلة وتضرّع وطاعتهم بعد ذلك بشكر وبعرف [1] واختلفوا فى الملائكة وصالحى المؤمنين أيُّهم أفضل فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجّوا بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

[1] Indication marg. كذا فى الأصل.

ولا اقول لكم انى ملك وقوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة الّا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقول صواحب يوسف ما هذا بشرًا إنْ هذا إلّا ملك كريم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون وقوله تعالى يسبّحون الليل والنهار لايفترون وقوله ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلًا فلما لم يقُلْ على من خلقنا علمنا ان هاهنا من هو أفضل منهم قالوا وهل يستوى حال من لا يعصى قطّ وحال من لا يتعرّى عن معصيته وكيف بفضيلة عمل مَنْ أقصى عُمره مائة سنة وفضيلة مَنْ عُمره الأبد وذهب إلى أنّ صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم مشقّة الطاعة مع منازعة الشهوة وممانعة الشيطان والعمل بالغيب خوفًا وطمعًا وانّى يقع طاعة من أُصْفِىَ عن شوائب الهوى وأُخْلص من مزاحمة[1] الشهوة وأُمِدَّ بظلّ العصمة وحُرِسَ من الوساوس من طاعة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات موكّل به أعداء من نفسه وجنسه وشيطانه وانّما يستحق

[1] Corr. marg. مزاج.

العمل تمام الفضيلة باحتمال الكدّ والعناء والمشقّة فيه قالوا
وليس ينكر[1] ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من
أهل الاسلام حتّى تكرمنا[2] ما تلاه خصمنا من الآيات وانّما
تفضيلنا فاضلى المؤمنين وصالحيهم وقد أسجدهم الله لصفيّه
آدم عم فهلّا كان ذلك على سَبْقه بالفضيلة وقال جلّ
وعزّ وان تظاهرا عليه فإن اللّه هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدّم صالحى المؤمنين
بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب
الإيمان بهم اكثر فضيلة من وجوب الإيمان بالمؤمنين قال
اللّه عزّ وجلّ يؤمن باللّه ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك
خَوَلٌ لبنى آدم وحفظة عليهم وقد رُوى فى الحديث انّ
الملائكة سألوا الجنّة فقال الله سبحانه لا أجعل صالح
من خلقتُ بيدىّ كمن قلتُ له كن فكان ورُوينا عن كعب
أنّه قال ركّب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى
البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقلُه

[1] Ms. نكر.

[2] Ms. نكرمنا.

شهوتَـه فهو خير [fº 34 vº] من الملائكة ومن غلب شهوتُـه عقلَـه فهو شرٌّ من البهـائم واحتجّ بعضُ المتأخّرين بقول شاعر يمدح ابن موسى الرضا ويقال هى لأبى نواس [خفيف]

قِيلَ لى أَنْتَ أَوْحَدُ النَّاس فى كُـلِّ مقالٍ من الكلام النَبِيـهِ

لـك من جيّد الكلام نظامٌ يُجتَنَى الدُرُّ من يَدَى مُجتَنِيـهِ

فلمـاذا تركتَ مَدْحَ ابن موسى والخصالَ الّتى يجمعْنَ فِـيـهِ

قُلْتُ لا أهتـدى لمـدح إمـامٍ كان جبرئيـلُ خادمًـا لأبيـهِ

ذكر ما جآء فى الحجب اعلم انّ الحجاب لا يوجب حدًّا على الارسال لانّ الله محجوب عن خلقـه ولا يطلق القول بـأنـه محدود لأنّ الحجاب يحتمل وجوهًا من المعانى وروى وهب بن ابى سلام سأل رسول اللـه صلعم هل احتجب اللـه بشىء عن خلقـه غير السموات فـقـال نَعَمْ بينَه وبين الملائكة الذين هم حملـة العرش سبعون حجابًا من نور وسبعون حجابًا من نار وسبعون حجابًا من ظُلمة حتّى عدّ خمسة عشر وفى حديث المعراج فـانتهيتُ إلى بحر من بحر اخضر فنُـودِى ان ارح محمّـدًا فى النور رجا وذكر عدّة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حمّاد بن سلمة عن عمران الحرّانى عن زُرارة بن أوفى قال قال رسول الله صلعم يا جبرئيل هل رأيتَ ربّك قال يا محمّد بينى وبينه سبعون حجابًا من نور لو دَنَوْتُ من أدناها لاحترقتُ وفى حديث ابى موسى الأشعرىّ لو انكشفت سُبُحاتُ وجهه لاحترق ما عليها من شىء ويسير هذا كلّه ما روى عن الحسن انه قال ليس شىء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين ربّ العزّة سَبْع حجب من حجاب العزّة وحجاب الجبروت والعظمة وليست ممّا يوجب الحدّ فى الاحتجاب لانّها ليست بأجسام حاملةٍ بين الحاجب والمحجوب ولكنّه يمتثل فى بُعد وقوع الحواسّ وقطع الاطماع فى الإحاطة به والاختصاص بالعظمة والسلطان دون خلقه ومثل هذا ابلغ عند العبّاد وتعظيم البارئ وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه اذ اكثرهم يرون ما لا يُدركه حواسُّهم ولايتصوّر فى أوهامهم باطلاق لا شىء ويدلّ على هذا التأويل ما روى فى الخبر العظمة إزارى والكبرياء ركابى[1] فمن نازعنيهما ألقَيْتُه فى النار ولا أُبالى فهل

[1] Ms. en marge ردائى.

يعرض لسامع شك فى أنّ العظمة لا يتّزر بها والكبرياء لا يتردّى بها ولكنّ الوجه ما ذهبنا إليه واللّه اعلم، وصفة الحُجب موجودة فى أشعارهم قال بعضهم [طويل]

لك الحمدُ والنعمآء والشكرُ رَبَّنا فلا شىء أعلى منكَ حدًّا وأمْجَدُ

مليكٌ على عرش السمآء مُهيمِنٌ لِعزّته تَعْنُوا الوجوهُ وتسجُدُ

فلا بَشَرٌ يسمو إليه بطَرْفه ودُونَ حجاب النور خَلْقٌ مُؤيَّدُ

ذكر ما جاء فى سدرة المنتهى وهى مذكورة فى كتاب اللّه عزّ وجلّ روى أنها على هيئة شجرة [f° 35 r°] يمرّ الراكب فى ظلّ فَنَنٍ منها [1] سنة قبل ان يقطعها ثمرها كالقلال وورقها كآذان الفيلة يأوى اليها أرواح الشُهدآء والصِدّيقين فى صورة فراش من ذهب بقول اللّه عزّ وجلّ عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى اذ يغشى السدرة مَا يغشى وقد ذكرها حَسَّانُ فى شِعْره

مقامٌ لدى سِدْرة المُنتهى لأحمدَ لَا شَكَّ للمُرتضى

[1] Lacune; note marginale كذا فى الأصل.

وقوله تعالى عندها جنّة المأوى يردّ قول من يزعم أنّ السدرة الشجرة التى كان النبىّ صلعم [تحتها بحراء اذ نزل عليه جبرئيل بالوحى اللهمّ الا ان يشبهه بقوله][1] إنّ منبرى هذا [نز][2]عة من تُرع الجنّة وقوله عم بين قبرى ومنبرى روضةٌ من رياض الجنّة فيكون مذهبًا وكذلك قوله عم الجنّة تحت ظلال السيوف غير أنّ الاخذ بالظاهر على القول الأوّل أعرف وأشهر والاخبار به أكثر قالوا وانّما سُمّيت سدرة المنتهى لأنّها منتهى علم العلماء فلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبياء ما وراءها إلّا الله وحدهُ وسمعتُ بعض القرامطة يتأوّلها نعلهم[3] بحراء محمّد صلعم ما علمه وأفشاه السرّ اليه لما رأى فيه من الامارات وتوسّمه فيه فضّ الله أفواههم وخيّب آمالهم،

ذكر الجنّة والنار لا أعلم أحدًا من أهل الأديان يُنكر الجزآء من الثواب والعقاب وان اختلفوا فى صفته واسمه ومكانه ووقته لأنّ فى ابطال الجزآء ابطال الأمر والنهى والوعد والوعيد وإجازة اهمال الخلق وارسالهم ويؤدّى ذلك

[1] Addition marginale.

[2] Lacune.

[3] Note marginale كذا فى الأصل.

إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة مُعَلَّقة بأصل التوحيد وذلك انّه لمّا قامت الدلالة على اثبات البارئ جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يجز أنْ يكون شيء من أفعاله غير حكمة وصواب فعلمنا أنّ الحكيم لم يخلق هذا الخلق عبثًا ولا لعبًا ولا سهوًا ولم يأمرهم ولم ينهَهم إلّا للثواب الذى عرضهم له والعقاب الذى حذّرهم وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن نظنّ به غير الحقّ فالجزآء يوجبه مُوجب التوحيد وحجّته حجته ثم لطباق أكثر أهل الارض على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت العارضة يكشفها حجّة العقل واجتماع الخلق فأىُّ عذر بعدها لمتخلّف عنها أو مائل الى ضدّها وان أحسّ من نفسه بنفرة فأولى به أن يتّهم عقله دون عقل المؤمنين والأُمم والأجيال فامّا القول فى أينيّة الجزآء وماهيّته أجنّة ونار [ام] غيرهما فشيء يتبع فيه الاخيار ولو شاء الله يجزئ بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب النعمة والاغتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة أعظم من دوام البقآء ولا عقوبة أبلغ من النار التى هى آكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس فى الجنّة والنار قرأتُ فى شرائع الحرّانيّة أنّ البارئ عزّ وجلّ وعد من أطاع نعيمًا لا يزول وأوعد من عصى العذاب بقدر استحقاقه وهذا ناموس أكثر القدماء ومنهم من يزعم ان النفس الشرّيرة التى عاثت فى هذا العالم وأفسدت وآذت إذا فارقت هيكلها حُبست فى الأثير وهى نار فى أعلى عُلوِ العالم والنفس الخيّرة التى استفادت الفضائل تعود الى عنصرها الأزلىّ ومنهم من زعم ان الفاضل يعلو فى العُلو والراذل يتسافل فيبقى فى الظلمة والخمود وقد قال ارسطاطاليس [f° 35 v°] ان العُلُو الأعلى محلّ الخلود وانّ السفل[1] الاسفل محلّ الموت وعامّة أهل الهند يُقرّون بالجزاء والذين يهلكون أنفسهم بأنواع العذاب من القتل والحرق والغرق يزعمون أنّ جوارى الجنّة يختطفنَه قبل زهوق نفسه وانّما أثبتُّ هذا لأُبيّن لك إقرارهم بالجنّة فى كفرهم وجهلهم وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأنّ ذكر الجنّة والنار فى غير موضع من كتابهم إلّا أنّهم مختلفون فى صفاتها بالجنّة فتسمّى بالعبرانيّة برديسا وبالعبريّة كنعاذن ويزعم طائفة

[1] Ms. سفل ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنّــه إذا كان يوم القيَمة أظهرت جهنّم من وادى
وأحرِثت نارًا فى الوادى ونُصِب عليـه جسر وأظهرت[1]
الجنّة من ناحية بيت المَقْدِس وأمر الخلق أن يسيروا عليـه
فمن كان منهم برئًا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثمًا تهافت
فى النار وزعمت فرقـة منهم أنّ الجنّـة والنار يفنيان وذلـك
بعد ألف سنـة من وقت أن صار الناس إليهما ثمّ يصير أهل
الجنّة ملائكة وأهل النار رميمًا وزعم آخرون أنّهما لا يفنيان
أبـدًا وأمّـا المتنـاسخة وانّهم يرَوْن الجـزآء فى النسخ والمسخ
ويزعمون أنّ من استمرّ على طبع من طباع السباع والبهائم حوّل
الى صورتـه عقوبـةً لـه ومن تعاطى الحقّ وكفّ عن الأذى
وتجمّل بالجميل حُوّل فى صورة مَلَكٍ أو قـائـد او رئيس وهذا
مذهب كثير من القـدماء ، ومن المعطّلـة من لا يُنكر الجزآء
فى الـدنيا بالفقر والفاقـة والآلام والأحزان مـا ارتكبه من
قبيـح والسَّعَة فى الدنيا والراحة والفرح واللذّة جزآء مـا عمله
من جميـل ويزعم السمنيّة من الهنود أنّ من كان قليـل الخير

[1] Lacune remplacée dans le ms. par trois points ∴ et note marginale كذا فى الأصل.

يصير كاسف البال رثّ الهيئة يأتى لأبواب فلا يتصدّق عليه ومن كان كثير الخير يصير مَلِكًا عظيمًا عزيزًا فمن أطعم الطعام أصاب القوّة لأنّ البدن تقوّى بالطعام ومن كسا الثياب أصاب الجمال ومن أوقد فى الظُلَم أصاب حُسْن العيش لأنّ الصباح يَطْرُد الظلمات ،

ذكر اختلاف المسلمين فى الجنّة والنار اعلم انّهم فيها على ثلث فِرَق فزعمت المعتزلة إلّا أبا الهُذَيْل وبشر بن المعتمر أنّهما لم يخلقا بعدُ وأنّهما يخلقان يوم القيامة واجاز النجّار أن يكونا خُلقتا وأن لم يخلقا بعدُ وانهما يخلقان يوم القيامة وقال سائر المسلمين أنّهما مخلوقتان مفروغ منهما واحتجّوا بآى من القرآن وأحاديث من السُنّة فمنها قيل ادخل الجنّة قال ياليت قومى يعلمون وقوله تعالى ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتًا بل احياء عند ربّهم يرزقون وقوله تعالى وجنّة عرضها السموات والارض أعدّت للمتّقين فهل يجوز أن يُعدّ غير مخلوق وجآء فى الحديث أنّ الله خلق الجنّة كذا وكذا بصفات مضبوطة فى الكتب وقال واتّقوا النار التى أُعدّت للكافرين وقال النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا وقال ويا آدم اسكن

انت وزوجك الجنّة وقال مخالفوهم أنّ الجنّة والنار ثواب
وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقّان إلّا بعد وجود الأعمال
الموجبة لهما قالوا ولو كانت الجنّة مخلوقة فأين مكانها وهى
لا تسعها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض
وتأوّلوا كلّ ما فى القرآن والسُنّة من ذكرهما على العِدَة
المنتظرة وقد قال الله عزّ وجلّ ان الأبرار لفى نعيم وان
الفجار لفى جحيم فأخبر عنهم وليسوا فى الوقت قالوا وغير
ممتنع على اللّه تعالى أن يخلق كلّ يوم جنانًا ويفنيها أو
يبقيها[1] [f° 36 r°] كما يشآء وان ينعم أرواح المطيعين فى جنّة
يخلقها لهم أو فى غير جنّة ويعذّب أرواح الظالمين فى نار أو
فى غير نار وقالوا وقد سبقت عدته فى افنآء ما خلق وثوابه
وعقابه غير فانيَيْن أبدًا فإن كانا موجودَيْن فلا بُدّ من
فنائهما وذلك خلاف وعده فلا مبدّل لكلماته قال خصمآؤهم
ليست الجنّة والنار ثوابًا ولا عقابًا انّما هما مقرّ الثواب والعقاب
فيهما يُثاب ويُعاقب والاستثنآء قد تناولهما من الفنآء والهلاك
لقوله إلّا ما شآء ربّك ولحكمه عليها بالسرمديّة

[1] Ms. يفنها.

والأبديّة وكما أنّه وعد ان يُفنى الخلق فكذلك وعد أن لا يفنيهما ثم اختلف هولآء فى مكان الجنّة فقال بعضهم هى فى الآخرة والآخرة مخلوقة وقال بعضهم بل هى فى عالم لها ولله عوالم الخلق ما يشاء وقال بعضهم بل هى فى السمآء السابعة سقفها عرش الرحمن وروى خبرًا وزعم بعضهم أنّها مخلوقة ولا يُدْرَى أين هى وليس بعجب أن يمسكها الله فى مكان كما أمسك العالم لا فى مكان قالوا والنار تحت الأرض السابعة السُفْلَى وروى فيه خبرًا

ذكر صفة الجنّة والنار أجمع ما فى القرآن لوصفها قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الأعين وانتم فيها خالدون وأجمع خبر فيها خبر ابى هُرَيْرة رضى اللّه عنه عن النبى صلعم فيما يحكى عن ربّه عزّ وجلّ أعددتُّ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبَلْهَ ما اطلعتم عليه قال ابو هريرة رضى الله عنه ومصداق هذا فى كتاب الله عزّ وجلّ فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرّة أعين جزاءٌ بما كانوا يعملون ورواه حمزة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن محمّد بن

الحنفيّة[1] أنّ النبىّ صلعم قال حدّثوا عن الجنّة بما شئتم فلن
تحدّثوا عنها بشىء إلّا وهى أشدّ منه فمن هاهنا استجاز من
استجاز صفة الجنّة والنار بما لم يأتِ فى الرواية لأنّ الواصف
وإن أفرط فى الوصف لم يَعْدُ مَدَى خاطر همّته وغاية معرفته
لا بلغ كُنه ما فيها ولا بعضَه لأن نعم الله ونقمه فوق ما يُحصيه
المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبدًا وقد سُئل رسول
الله صلعم عن أهل الجنّة فقال جُرْدٌ مُرْدٌ مكحلون من أبناء ثلث
وثلثين سنة هذا من طريق حمّاد بن سلمة عن علىّ بن مريد
عن المسيّب عن ابى هُريرة وفى رواية أُخرى من ابناء ثلث
وثلثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب ابرهيم
وطول آدم وصوت داود ولسان محمّد صلّى الله عليه وعليهم
اجمعين وقال ابو هريرة إنّ أهل الجنّة ليزدادون جمالًا وحُسنًا
كما يزدادون فى الدنيا قباحة وهرمًا وأنكر قوم من أهل
الكتاب الأكل والوطئ فى الجنّة وذلك أنّ منهم من
لا يرى البعث إلّا للأرواح فكذّبهم الله فى القرآن بذكر
الطعام الحُوّارَى التى وصفها فى الجنّة وروى[2] عن النبىّ صلعم

[1] Ms. الحنفيه.
[2] Ms. ورو.

لما يذكر الجنّة قال إنّ الرجل منهم يُعْطَى قوّة ألف رجُل فى الطعام والجماع قالوا وكيف المسّ يا رسول الله قال دحمًا دحمًا إذا قام عنها رجعت مطهّرة بكرًا بذكر لا يملّ وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع فقال يهود مَنْ أكل يغوط فقال النبىّ صلعم [f° 36 v°] ولا يتغوّطون وانّما هو عرق يفيض من أعراضهم مثل المِسْك فتُضْمَر له بطونُهم وسُئل عن النوم فقال صلعم النوم أخو الموت وأهل الجنّة لا يموتون وسُئل عن الولد قال فتنة ورُوى انه قال لو أرادوا لكان حمله ووضْعه ونشوه فى ساعة واحدة وسئل عن المرأة التى يكون[1] لها زوجان لمن تكون فى الجنّة ففى رواية حذيفة أنّه قال تكون لآخر زوجَيْها ولمّا خطب معاوية أمّ الدرداء قالت لستُ أبغى بأبى الدرداء بديلًا سمعتُه يقول قال رسول الله صلعم المرأة لآخر زوجَيْها ولذلك حُرّم أزواج النبىّ صلّى الله عليه من بعده ليكُنّ أزواجه فى الجنّة ورُوى عن الحسن انه قال تخيّر المرأة فتختار أحسنهما خلقًا وسُئل ضمرة بن حبيب أيدخل الجنّة فقال نعم واستدلّ بقوله تعالى لم يطمثهنّ انس

[1] Ms. تكون.

قبلهم ولاجانّ فللانس انسيّات وللجنّ جِنّيّات وسُئل ابو العالية
عن أوقات الجنّة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
لاشمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم فى نور أبدًا وانّما يعرفون
مقادير الليل والنهار بارخآء الحُجب وفتح الابواب وسُئل الحسن
عن الحور العين فقال عجائزكم هولآء العُمْش الرُمْص وتلا
انّا انشاناهن انشاءً فجعلناهنّ ابكارًا الآيةَ فقال ويعطون
أزواجًا غيرهنّ من الحور العين وفى حديث ابن المبارك عن
رشيد بن سعد عن ابن أنعم انّ مَنْ دخل من نسآء أهل الدنيا
الجنّة فضّلْنَ على الحور العين بما عملنَ فى دار الدنيا وهذه
الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوامّ الأُمّة واستغنآئها عن الأسانيد
وسُئل عن قوله عزّ وجلّ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ
الاعين فلو اشتهت ما يستقبحه العقول كالقتل والغصب[1]
والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأنّ هذا
وما أشبهه ممّا لا يشتهون فى الجنّة لأنّها ليس فيها كما
لا يشتهون الموت والمرض والذُلّ والفاقة لأنّها ليست فيها
فتحبس طباعهم عن التشوّق إلى ما يستقبح فى العقول وينسون

[1] Ms. العضب.

ذكرها واعلم هداك الله أنّ كلّ ما وصف به من ذهبها وفضّتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر ما وصف منها كلّها على الحقيقة فى الاسماء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض وثمارها بقول الله عزّ وجلّ وانّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ورُوى عن ابن عبّاس رضى الله عنه عن أُسامة بن زيد عن النبىّ صلعم أنّه سُئل عن الجنّة فقال نور يتلألأ وحدّثنا الحسن بن هشام العبسىّ عن وكيع عن الأعمش عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال ليس فى الجنّة شىء ممّا فى الدنيا إلّا الاسماء،

ذكر صفة النار وأهلها أجمعُ آية فى وصف النار قوله والذين كفروا لهم نار جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأجمع خبر فيها خبر محمد بن الحنفية وإن كان مُرْسَلًا حدثوا عن النار بما شئتم فلن تحدّثوا عنها بشىء إلّا وهى اشدّ منه والذى يوجب القياس الشديد أن يكون كلّ ما وصف به النار من أغلالها وانكالها وحيّاتها وعقاربها وأوديتها ومقامعها وسائر ما ذُكر فى القرآن والأخبار خلاف ما هو فى الدنيا كما قلنا فى صفة الجنّة وان يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأنّ النـار دار خلود كما أنّ الجنّـة دار خلود [f° 37 r°] وسئـل ابرهيم النَخعىّ عن صفة نار جهنّم فقـال ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزء من نار جهنّم ولقـد ضرب بها البحر مرّتين ولولا ذلـك لما انتفعتم بهـا وسُئل الحسن عن النار فـقـال يصير البحر نارًا ثمّ تـلا واذا البحار سُجّرت فقـال يفجر بعضها من بعض ثم يرسل عليهـا من الجنوب ريحًا ويُسلّط عليها الشمس حتّى يسجرها فتصير[1] نارًا فجعلها اللـه محبسًا لأهل المعاصى وزعم قوم أنّ النـار مخلـوقـة اليـوم وأنّها تحت تخوم الارضين السُفْلَى والبحار هى الحاجزة عن الخلـق وأن حرارة الشمس وحمى الصيف مؤخّرها[2] ورووا أنّ النار اشتكت فقـالت أكل بعضى بعضًا فـأذن لهـا فى نفسين نفس فى الصيـف ونفس فى الشتـآء وأراك أشدّ مـا يكـون فى الحرّ والبرد وفى الصحـاح من الحديث ابردوا بالظُهر فـإنّ فى شدّة الحرّ من فيح جهنّم واستعظم قوم بقـآء ذى روح فى النـار وذلـك لقصور علمهم لأنّ النـار ضروب كالأثير الـذى يزعمون فى علو الهوآء

[1] Ms. فيصير.

[2] Ms. موحّرها.

وكالنار الكامنة فى الحجر والشجر وقد سُئل ابن عبّاس رضى
الله عنه فيما رووا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب
وهى ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهى النار فى
الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهى نار الشجر ونار تأكل
ولا تشرب وهى نار جهنّم تاكل لحومهم ولا تشرب دمآءهم
فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أنّ نار جهنم خلاف النيران
التى ذكرها بقول الله تعالى كلّما نضجَتْ جلودهم بدّلناهم
جلودًا غيرها فأخبر سبحانه أنّه يُبدّل لهم الجلود لتبقى لهم
الأرواح لا تأتى عليهم النار فيُفنيهم وقد أرانا الله من قدرته
فيما ركّب عليه طباع بعض الحيوانات ما دلّنا به على جواز بقاء
ذى روح بالنار كالنعام التى تأكل النار ولا يضرّها والطائر
الذى يدخل النار فلا تُحرِقه وما أراه جعل ذلك إلّا عبرةً
فدلّنا على جواز بقآء الحياة فى أهل النار والّا فما جاز فى طباع
الحيوان الاغتذآء بالنار والحديدة المُحماة وجآء فى صفة أهل
النار بالعجيب الفظيع فمن ذلك ما روى أنّه سُئل أبو
هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن يَغْلُلْ يأتى بما غلّ
يوم القيامة وكيف يأتى من غل مائة بعير ومائتى شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحُد وفخذه مثل ورقان وساقه مثل البيضاء ومجلسه ما بين المدينة الى الربذة وعن الربيع بن أنس قال مكتوب فى الكتاب الأوّل أنّ جلد أحدهم أربعون ذراعًا وبطنه لو وُضِع فيه جبل لوسعه وانّه ليبكى حتى يصير فى وجهه أخاديد من الدمع لو طُرِح فيها السُفْن لجرَتْ كذا الرواية والله أعلم ، وأعلم أنّ كلّ ما يُوصَف من الجنّة والنار فسبيله السمع والخبر وما موجب العقل فالأصل الذى هو الجزاء فلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُنكرًا للأصل حتّى يُقرَّ به ،

ذكر اختلاف الناس فى بقاء الجنّة والنار وفنائهما قرأتُ فى شرائع الحرّانيّين أنّ للعالم علّة لم يزل وأنّه واحد لم يتكثّر ولا يلحقه وصف شىء من المعلومات كُلِّف أهل التمييز الإقرار بربوبيّته وبعث الرسل للدلالة وتثبيت الحجّة فوعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول وأوعدوا من عصى عذابًا بقدر استحقاقه ثم ينقطع وقال بعض أوايله أنّه يعذّب سبعة [f° 37 v°] آلاف دَوْرٍ ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمة الله تعالى والهند على كثرة اختلافها يجمعها نحلتان السمنيّة المعطلة والبراهمة الموحّدة

وكلّهم مُقرّون بالجزآء وأنّ العذاب سينقطع يومًا والسمنيّـة تقول
ان الثواب والعقاب موجودان فى هذا العالم بالحواسّ جزآء ما
اكتسبته النفوس باقيةٌ خالدة فاعلة وفعلها الإيجاد بالأجساد
وانّها لا يزال ساكنة الأبدان فاذا فارقت جسدًا لم تَعُدْ
فيه أبدًا وانّها تتناسخ على فعالها لا يأتى أمرًا إلّا على قدر هواها
وهمّتها فإذا اجترحت السيـّٔات أثّرت تلك الأفعال فى
جوهرها وصار غرضًا لازمًا لها فإذا فارقت الجسد ذهبت
بذلك التأثير إلى الجنس الذى لا يلايم همّتها فتلابسه فيصير
بذلك السبب إلى المكروه وهو التناسخ فى أجساد الحيوان
كلّه من الهوام والانعام والآنام والطير فى البرّ والبحر قالوا
وأشدّ ذلك كلّه إذا حُوِّلَتْ فى جسد حيوان تحت الأرض
حيث لا مآء ولا معمورة ويطول عذابها بالجوع والعطش والحرّ
والبرد ثمّ تُجَوءُ[1] الى جهنّم وعذابها وذلك نهاية العذاب وأُخراه
ثمّ يعود من جهنّم القهقرى إلى وجه الأرض للعمل قالوا والّتى
عملت الصالحات والأفعال الفاضلة بالضدّ ممّا وصفنا فيلابس
الجمال والكمال والصحّة والأمن والقوّة والإنس والنشاط

[1] Ms. تحوّ.

والمُلك والعزّ وطيب النَفْس ويصير آخِر ذلك كلّه الى الجنّة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثمّ يرجع الى الدنيا للعمل قالوا والجنّة اثنتان وثلثون مرتبة ويمكث أهلها فى أدْنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلث وثلاثين ألف سنة وستّمائة وعشرين سنة وكلّ مرتبة أضعاف ما دونها بحساب يطول عدده قالوا والنار اثنتان وثلاثون مرتبة ثم وصفوها بعجائب الصفات من الحريق والزمهرير وزعموا أنّ من قتل شيأً من الحيوان دون الناس قُتل به مائة مرّة ومرّة ومن قتل إنسانًا قُتل به ألف مرّة ومرّة قالوا وليس عُضْوٌ من الأعضآء قبح او سمج خلقتُه إلّا وقد أتى صاحبه بذلك العُضْو داهية من الدواهى هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر فى سائر الأُمم وليس من أمّة من الأُمم إلّا وهى مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إمّا التناسخ وإمّا الذخر فى الآخرة وأجمعوا أنّ العذاب بقدر الاستحقاق ثم ينقطع وزعم كثير من اليهود أنّه إذا أتى على الجنّة والنار ألف سنة بعد ما صار اليهما أهلهما فنِيَتا وتعطّلتا وصار أهل الجنّة ملائكة وأهل النار رميمًا واحتجّوا بقول الانبيآء الاثنى عشر[1]

[1] Ms. الاىى عر.

أنّـه مكتوب فى سِفْر يهوشوع[1] أن اللّـه يقول إنْ تمسكت أمرى وأتممت ميثاقى أعطيتك موضعًا وَسْطَ هولآء الواقفين قدّامى وقـال فى أهل النار يصيرون رميمًا تحت أرجُل معاشر أهل الجنّـة وسمعتُ رجلًا من يهود عليهم اللعنـة يـزعمون أنّ منهم من يقول أنّ العالم ينقضى فى كلّ ستّـة ألف سنـة ويجدّد وأنّ يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنـة ويوم الأحد يوم الابتدآء واللّـه اعلم بما قـال وكثير منهم يقـول ببقآء الجنّة والنار على الأبد ويحتجّون بقول شعيا فى سِفْره أنّ أهل الجنّـة يخرجون ويرون أجساد الـذين عصونى لا يموت أرواحهم ولا تخمد نـارهم والمجوس يزعم أنّ المُسئ يجازى بقدر استحقاقـه بعد موتـه [f° 38 r°] بثلاثـة أيّام كفاءَ ما فعل سوآء لا زيادة ولانقصان ومنهم من يزعم أن الجنّة والنـار فى الدنيا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر ،

ذكر اختلاف النـاس فى هذا الفصل زعمت طائفـة منهم أنّـه لا بدّ من فنـآء النار وانقضآئها يومًا ما رَوَوْا فيـه روايات فرووا عن ابن مسعود رضى اللّه عنه انـه قـال يأتى على جهنّم

[1] Ms. يهرشوع.

زمان تخفق [1] أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقاباً
وعن الشعبيّ جهنّم أسرع الدارين خراباً وعن عمر رضى الله
عنه وأرضاه لو لبث أهل النار فى عدد رمل عالج لكان لهم
يوم يخرجون واحتجّوا باشيآء من باب التعديل ولم يختلفوا فى بقآء
الجنّة على الأبد وقالوا آخرون انّهما مؤبّدتان دائمتان لا تفنيان
ولا تزولان واحتجّوا بانه لم يكن لنعم الله انتهآء وجب ان
لا يكون لنقمه انقضآء ورووا عن الأوزاعى انه ذكر هذه
الروايات التى احتجّ بها الأوّلون وقال قد كان الناس يرجون
لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات
والارض إلّا ما شاء ربّك وقوله لابثين فيها أحقاباً فلما نزلت
فى المائدة وهى آخر ما نزل فى القرآن يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا انها
لا تفنى ابداً فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل ان
يعاقب على جُرمٍ منقضٍ بعقوبة غير منقضية قيل هو الجزآء
على السوآء وكما انه لم تقصّر مدّة عمره على الكفر فى دار
الدنيا وجب ان لا يقصر عنه العذاب مدّة عمره فى الآخرة

[1] Ms. يحقق.

وأيضًا فإنّ نعمة ما لم تكن منتهية وجب ان لا يكون نقمة منتهية وقد كانت العرب فى جاهليتها تؤمن بالجزآء ومن نظر منهم فى الكتب كان مُقرًّا بالجنّة والنار فمنه قول أُميّة [وافر]

جهنّم تلك لا تبغى بقيًا … وعدن لا يطالعها رجيم[1]

إذا جهنّم ثم فارَتْ … وأَعْرَضَ عن قوابسها الجحيم

يحب بصندلٍ صمّ صلابٍ … كأن الصاحيات لها قضيم[2]

فتسموا ما يعنيها ضواء … ولا يحبو فيبردها السموم

فهم يطفون كالاقذاء فيها … لئن[3] لم يغفر الربّ الرحيم

بدانيةٍ من الآفات نزهٍ … برآء لا يرى فيه سقيم

سواعدُها تحلّب لا تصرّى … بها الايدى محلّلة تحوم

يغيض حلابها من غير ضَرْع … ولا بَشَم ولا فيها جُزوُم

فيحرم عنهُمُ ولكلّ عرقٍ … عجيج[4] لا احذّ ولا يتيم[5]

فذا عسل وذا لبنٌ وخمرٌ … وقمح فى منابته صريم

ونخل ساقط الاكتاف عد … خلال أصوله رُطَب قميم

وتفاحٌ ورمّانٌ وموز … ومآء بارد عذب سليم

[1] Ms. رحيم.
[2] Ms. فضيم.
[3] Ms. لين.
[4] Ms. عجحح.
[5] Ms. يسيم.

وفيهـا لحم شاهـدة ونحرٍ[1] وما فـاهوا لهم فيها مقيم

وحور لا يرين الشمس فيها على صُوَر الدُمى فيها سُهوم

نواعم فى الأرائك قاصرات فهُنّ عقـائـل وَهُمُ قروم

على سُرُرٍ ترى متقابلات الاَثـمّ النضارةُ والنعيم

عليهم سندس وجناب رَيْط وديباج يرى فيها فيوم

وحُلُّوا مِن أساورَ من لُجَيْن ومِن ذهب وعسجدة كريم

ولا لغوٌ ولا تـأثيم فيهـا ولا غول ولا فيهـا مُليم

وكأس لا يصدّع شاربيـهـا يلـذّ بحسن رويتها النديم

يصفّوا[2] فى صحاف من لجين ومن ذهب مباركـةٍ رذوم

إذا بلغوا الّتى اجرَوْا اليها تقبّلهم وحلـل من يصوم

وخفقت البدور وأردفتهم فضول الله وانتهت القُسُوم

[fº 38 vº] اعلم أنّ هذه الاشيآء ممّا جآءت بـه الروايـة والخبر فمنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفريق والمسلمون لا يختلفـون فى أساميهـا وإنّما الخـلاف فى معانيهـا فـامّا الصراط فقد جآء فى الحديث أنـه يُنصَب جسرٌ على ظهر

[1] Ms. نحر.

[2] Ms. يصفو.

جهنّم ويُحمل الخلق عليه فمن كان من أهل الجنّة جازه ومن
كان من أهل النار تهافت فيها وقيل فى صفته انّه أحدّ من
السيف وأدقّ من الشعرة دحْص[1] مزلّةً وفيه كلاليب
وخطاطيف وسَعْدان مضرّسة وحَسَك مُفلطحة مُسيَّرة كذا سنة
صعودًا وهكذا هبوطًا وكذا وطأً والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم
من يمرّ كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ كالريح العاصف ومنهم من
يمرّ كالطير الهادى ومنهم من يمرّ كالجواد المضمّر ومنهم من يمرّ عدوًا
ومنهم من يمرّ هرولةً ومنهم من يمشى مشيًا ومنهم من يزحف
زحفًا ومنهم من يحبو حَبْوًا ومنهم من يحتضنه بكشحه وصدره
والزالّون والزالّات[2] كثير وقد أُجيب من يزعم أىّ ظلم أعظم
من حمل الناس على ما هذه صورته أنّه جعل تمييزًا بين
أهل الطاعة وأهل المعصية وعلامة للحقّ على هلاك من هلك
ونجاة من نجا وقد جآء فى بعض الأخبار أنّ أهل الطاعة
يجوزونه ولا يشعرون به وقيل ينزوى تحت اقدامهم كما
ينزوى الجلدة من النار فاذا استقرّوا فى الجنّة قالوا ما بالنا
لم نجز الصراط ولم نرد النار التى وعدنا فيُقال انكم جُزتم الصراط

[1] Ms. دحض.

[2] Ms. الرالون والرالات.

فى الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهى خامدة ومن هاهنا ذهب من
ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلّف من مشقّة الطاعة
ومجاهدة النَفْس فيما ينزع اليه وعلى هذا فسّر بعضهم فلا اقتحم
العقبة وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة الآية وامّا المعتزلة
وأهل النظر فإنّهم يذهبون إلى أنّ الصراط هو الدين الذى
أمر اللّه بلزومه والتمسّك به وكان ابو الهُذيل من بينهم يجيز
ما جآء فى الخبر كما جآء ويحتجّ بما ذكرناه بدءًا وامّا
الميزان فروى كثير من المسلمين انه خلق على هيئة الميزان التى
يتعاطاه الناس بينهم فى معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال
العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفى كتاب وَهْبٍ عن ابن
عبّاس ان له كفّتين وعمودًا كلّ كفّة طباق الأرض احداهما
من ظلمة والأُخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب
وهو مُعلّق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسعد فلان
والأشقى فلان فإن صحّت الرواية فالمعنى فيه ما ذكرناه فى
الصراط انه جعل مميّزًا فارقًا وهو قول ابى الهُذيل يجوز
ان يُنصب[1] ميزان يجعل رُجحانه علامة لمن نجا وخفّته

[1] Ms. ينضب.

علامـة لمن هلك وقـالت المعتزلـة غيره وكثير من الأمّـة انّ الميزان مثـلٌ لتسويـة الجزآء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد والضّحاك الشعبىّ واحتجّوا بقول النـاس للرجل الأمين العدل ما هو إلّا كالميزان المستقيم ألاترى الى ما يرثى بـه عمر بن عبد العزيز رحمه اللـه [بسيط]

قد غيّب[1] الدافنون الترب اذ دفنوا بـديـر سمعان قسطـاس الموازين

وانشد الفرّآء بيتًا [كامل]

قد كنتُ قبل لقائكم ذا مِرَّة عندى لكـلّ مخاصمٍ ميزان

[fº 39 rº] ويسمّى الحّجة ميزانًا والـلّـه اعلم واحكم وختلفوا فى الموزون فـقـال قوم يُوزَن عين الأعمال فتخفّ السيّـئـة لانّـه يأتيها الإنسان بخفّـة ونشاط وتثقل الحسنـة لأنّـه يأتيها بعناء وكلفة وقـالت طائفة بـل يوزن صُحف الأعمال وهو قول ابن عبّـاس رضى اللّـه عنـه ويعضد روايـة عبد اللـه بن عمر عن النبىّ صلعم يُؤتى برجل يوم القيامة ويُؤتى بتسعة وتسعين سجـلًّا

[1] Ms. عيب, corrigé d'après le vers de Férazdaq cité par Mas-ʿoûdi, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445.

كلّ سجلّ مَدُّ البصر فيها ذنوبه وخطاياه فيوضع فى كفّة ثم يخرج له قرطاس مثل واشد بطرف سبابته على بعض إبهامه فيه شهادة ان لا إله إلّا الله فيوضع فى الكفّة الأُخرى فيرجح به وقال قوم يوزن ثواب الأعمال وذلك ان الله يظهره فى صورة ويُحدث عند الوزن ثقلًا فى الطاعة وخفّة فى المعصية وكلّ ما حكى وروى ممكن والله أعلم بالحقّ وأحكم وأمّا الأعراف فذكر انّه كسور بين الجنّة والنار يوقَف عليها قوم إلى أن يقضى الله تعالى بين خلقه مع اختلاف كثير فى من يقام عليه ويدلّ على انّه من الجنّة قوله عزّ وعلا ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من المآء أو ممّا رزقكم الله[1] وفيه يقول أميّة بن ابى الصلت [بسيط]

وآخرون على الاعراف قد طمعوا ... بجنّة حَفَّها الرُمّان والخَضَرُ

منهم رجالٌ على الرحمن رزقهم ... مكفّر عنهمُ[2] الاخباث والوَزَرُ

وأمّا الصُور فانّ الرُواة مختلفة فيه فروى انّه كهيئة القرن

[1] Ms. ربكم.

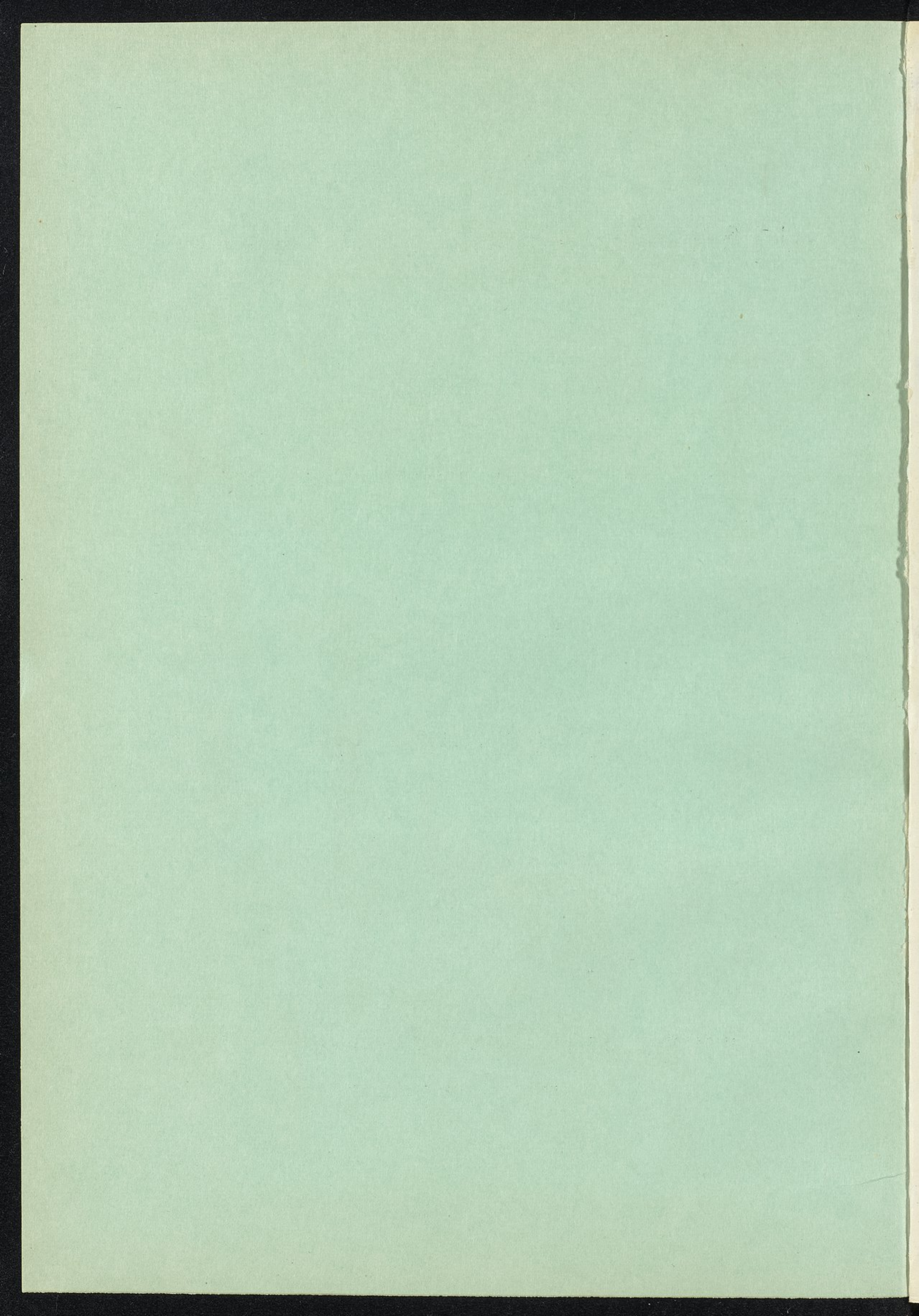
[2] Ms. عنه.

يُجمع فيه الأرواح ثمّ يُنفَخ منه فى الأجساد عند البعث وقـال قوم يخلق الصور يوم القيامة وتـأوّلوا قولـه وهو الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ويوم يقول كن فيكون قـال يقول للسموات كونى صورًا يُنفخ فيه وقـال بعضهم الصور جمع الصورة وإنْ صحّ الخبر كيف انعم وصاحب الصور قـد التقمه وحنـا جبهتـه ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول بـه وأمّـا الحوض جـآء فى الحديث بروايات مختلفـة وقـال كثير من أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبىّ صلعم وروى ما بين جَنْبَى حوضى كما بين صنعاء وايلة وآنيته[1] فى عدد نجوم السماء مـآءه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأشدّ بياضًا من اللبن مَن شرب منه شربـة لا يظمأ بعدها أبدًا وقـال قوم فى تأويل الحوض انـه عمله ودينه وطريقته والله أعلم ،

[1] Ms. واسته.

تمّ الجزء الأوّل

طبع فى مدينة شالَوْن على نهر سَوْن بمطبع برطرند



KITAB AL - BAD' WAT - TARIKH

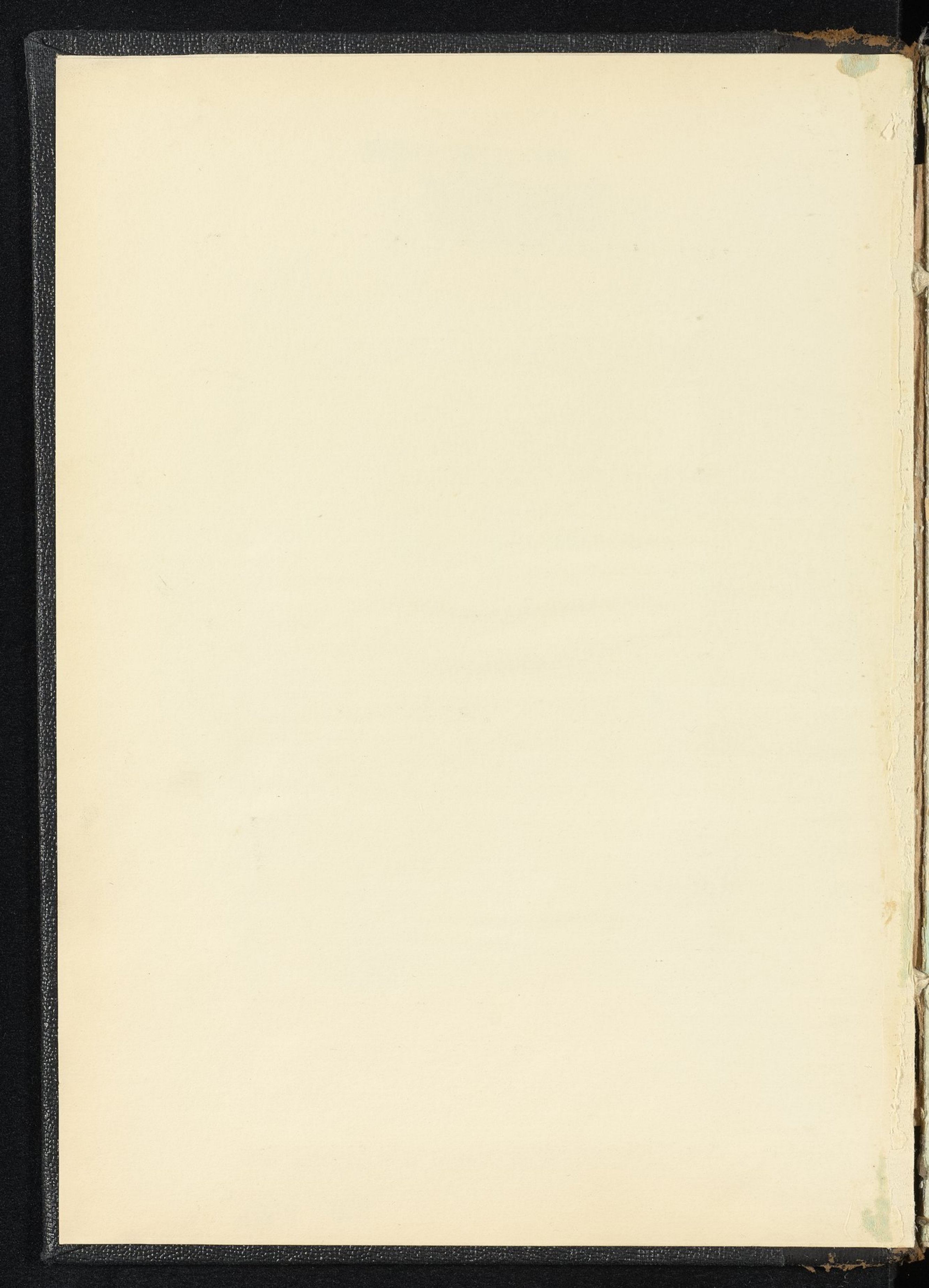
BY

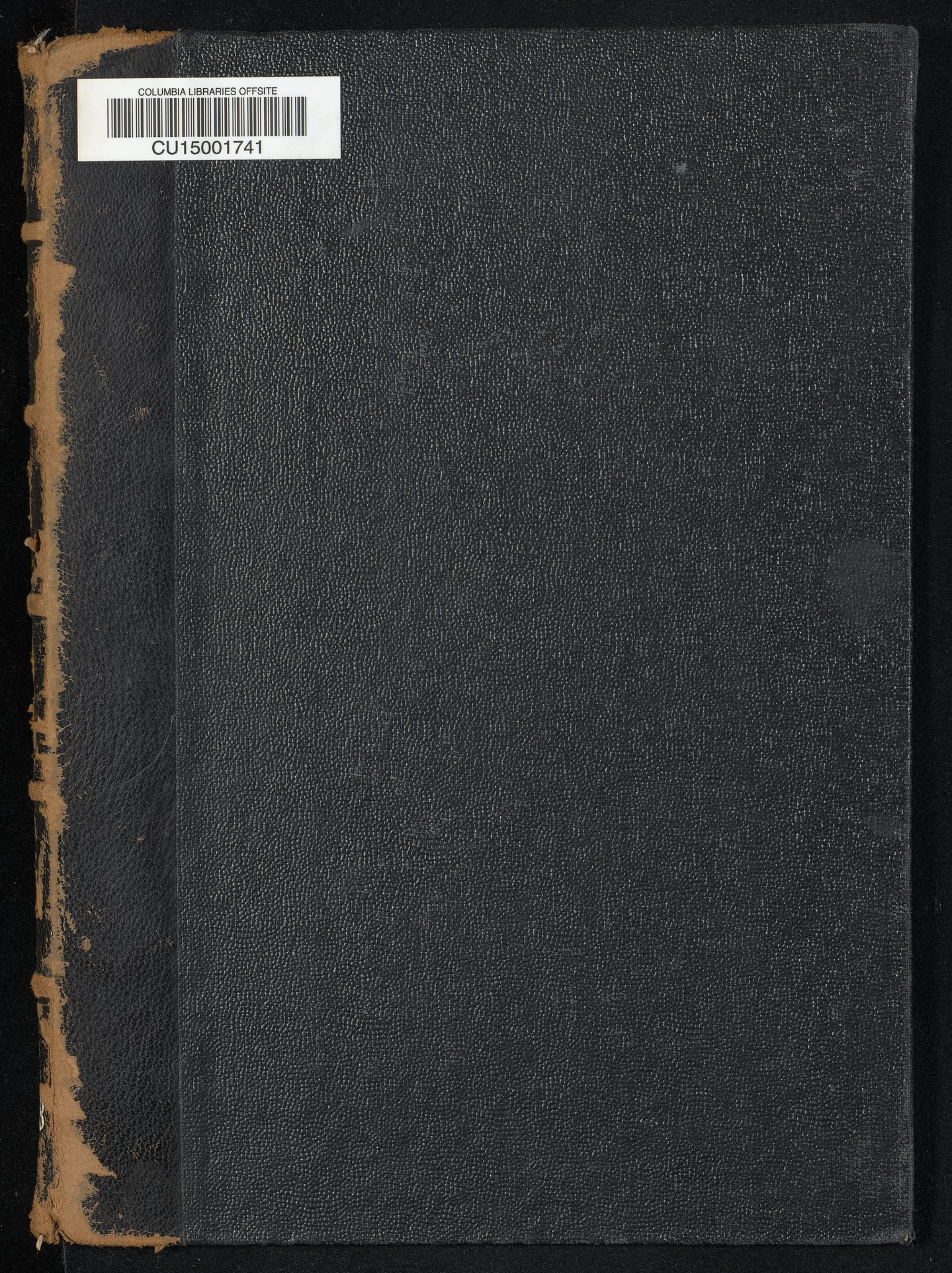
MUTAHHAR IBN TAHIR AL-MAQDISI

VOLUME ONE

DISTRIBUTED BY AL - MUTHANNA LIBRARY

B A G H D A D




COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU15001741